ابن عنين

هو محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن بن عنين الزرعي الحوراني الدمشقي الأنصاري.ولد بدمشق عام549هـوتوفي فيها عام630هـ

ابن عنين

549 - 630 هـ / 1154 - 1232 م

محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن بن عنين أبو المحاسن شرف الدين الزرعي الحوراني الدمشقي الأنصاري.

شاعر عباسي من أعظم شعراء عصره، مولده ووفاته بدمشق، كان يقول أن أصله من الكوفة، من الأنصار.

كان هجاءً، قل من سلم من شره في دمشق، حتى السلطان صلاح الدين، ذهب إلى العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان، واليمن ومصر.

وعاد إلى دمشق بعد وفاة صلاح الدين فمدح الملك العادل وتقرب منه، وكان وافر الحرية عند الملوك.

وتولى الكتابة والوزارة للملك المعظم، بدمشق في آخر دولته، ومدة الملك الناصر، وانفصل عنها في أيام الملك الأشرف فلزم بيته إلى أن مات.

وجاء في "وفيات الأعيان" لابن خلكان: هو أ بو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن عنين الأنصاري، الملقب شرف الدين، الكوفي الأصل الدمشقي المولد الشاعر المشهور؛ كان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله، ولا كان في أواخر عصره من يقاس به، ولم يكن شعره مع جودته مقصوراً على أسلوب واحد بل تفنن فيه، وكان غزير المادة من الأدب مطلعاً على معظم أشعار العرب، وبلغني أنه كان يستحضر نقل كتاب "الجمهرة" لابن دريد في اللغة، وكان مولعاً بالهجاء وثلب أعراض الناس، وله قصيدة طويلة جمع فيها خلقاً من رؤساء دمشق سماها "مقراض الأعراض". وكان السلطان صلاح الدين، رحمه الله تعالى، قد نفاه من دمشق بسبب وقوعه في الناس، فلما خرج عمل:

فعلام أبعدتم أخا ثقة ... لم يجترم ذنباً ولا سرقا؟
انفوا المؤذن من بلادكم ... إن كان ينفى كل من صدقا

وطاف البلاد من الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم ما وراء النهر، ثم دخل الهند واليمين وملكها يومئذ سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين، رحمه الله تعالى- المذكور في حرف الطاء - وأقام بها مدة، ثم رجع إلى الحجاز والديار المصرية، وعاد إلى دمشق، وكان يتردد منها إلى البلاد ويعود إليها. ولقد رأيته بمدينة إربل في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ولم آخذ عنه شيئاً، وكان قد وصل إليها رسولاً عن الملم المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق، وأقام بها قليلاً، ثم سافر وكتب من بلاد الهند إلى أخيه وهو بدمشق هذين البيتين، والثاني منهما لأبي العلاء المعري استعمله مضمناً فكان أحق بها، وهما:

سامحت كتبك في القطيعة عالماً ... أن الصحيفة لم تجد من حامل
"وعذرت طيفك في الجفاء أنه ... يسري فيصبح دوننا بمراحل"

لله دره فما أحسن ما وقع له هذا التضمين. وقد كرر هذا المعنى في مواضع من شعره: فمن ذلك قوله من جملة قصيدة طويلة:

ألا يا نسيم الريح من تل راهط ... وروض الحمى، كيف اهتديت إلى الهند

وقوله من أبيات وهو في عدن اليمن:

أأحبابنـا لا أسـأل الـطـيف زورة وهيهات، أن أين الديلميات من عدن؟

الديلميات وتل راهط والحمى: أسماء مواضع من ضواحي دمشق، والبيت الذي للمعري قبله:

وسألت كم بين العقيق إلى الحمى فعجبت من بعد المدى المتطاول

والمعري أخذا هذا المعنى من دعبل بن علي الخزاعي الشاعر- المقدم ذكره - فإنه كان قد هجا الخليفة المعتصم بالله بن هارون الرشيد، فطلبه، فهرب من العراق إلى الديار المصرية وسكن بأسوان في آخر بلادها، وقال في ذلك:

وإن امرءاً أضحت مطارح سهمه بأسوان لم يترك من الحزم معلما
حللت محلاً يحسر الطرف دونـه ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

ولما مات السلطان صلاح الدين ومللك الملك العادل دمشق كان غائباً في السفرة التي نفي فيها، فسار متوجهاً إلى دمشق، وكتب إلى الملك العادل قصيدته الرائية يستأذنه في الدخول إليها ويصف دمشق ويذكر ما قاساه في الغربة، ولقد أحسن فيها كل الإحسان واستعطفه أبلغ استعطاف، وأولها:

ماذا على طيف الأحبة لو سرى وعليهم لو سامحوني بالكرى

ووصف في أوائلها دمشق وبساتينها وأنهارها ومستلزماتها، ولما فرغ من وصف دمشق قال مشيراً إلى النفي منها:

فارقها لا عن رضاً، وهجرتها لا عن قلى، ورحلت لا متخيرا
أسعى لرزق في البلاد مشتتٍ ومن العجائب أن يكون مقترا
وأصون وجه مدائحي متقنعاً وأكف ذيل مطامعي متسترا

ومنا يشكو الغربة وما قاساه فيها:

أشكو إليك نوى تمادي عمرها حتى حسبت اليوم منها أشهرا
لا عيشتي تصفو، ولا رسم الهوى يعفو، ولا جفني يصافحه الكرى
أضحي ع الأحوى المريع محلاً وأبيت عن ورد النمير منفرا
ومن العجائب أن يقبل ظلكم كل الورى، ونبذت وحدي بالعرا

وهذه القصيدة من أحسن الشعر، وعندي هي خير من قصيدة أبي بكر ابن عمار الأندلسي التي أولها- وهي على وزنها ورويها وقد تقدم ذكر شيء منها في ترجمته-:

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى

فلما وقف عليه الملك العادل أذن له في الدخول إلى دمشق، فلما دخلها قال:

هجوت الأكابر في جلقٍ ورعت الوضيع بسب الرفيع
وأخرجت منها ولكني رجعت على رغم أنف الجميع

وكان له في عمل الألغاز وحلا اليد الطولى، فمن كتب إليه بشيء منها حله في وقته وكتب الجواب أحسن من السؤال نظماً. ولم يكن له غرض في جمع شعره، فلذلك لم يدونه، فهو يوجد مقاطيع في أيدي الناس، وقد جمع له بعض أهل دمشق ديواناً صغيراً لا يبلغ عشر ما له من النظم، ومع هذا ففيه أشياء ليست له.

وكان من أظرف الناس وأخفهم روحاً وأحسنهم مجوناً، وله بيت عجيب من جملة قصيدة يذكر فيها أسفاره ويصف توجهه إلى جهة الشرق، وهو:

أشفق قلب الشرق حتى كأنني أفتش في سودائه عن سنا الفجر

كان وافر الحرمة عند الملوك، وتولى الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر ابن المعظم، وانفصل عنها لما ملكها الملك الأشرف وأقام في بيته، ولم يباشر بعدها خدمة. وكانت ولادته بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وتوفي عشية نهار الاثنين لعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وستمائة بدمشق أيضاً، ودفن من الغد بمسجده الذي أنشأه بأرض المزة، وهي- بكسر الميم وتشديد الزاء - قرية على باب دمشق، رحمه الله تعالى.

قال ابن الدبيثي: سمعته يقول: إن أصلنا من الكوفة من موضع يعرف بمسجد بني النجار، ونحن من الأنصار؛ قلت: هكذا نقلته أولاً، ثم إني زرت قبر بلال مؤذن سول الله صلى الله عليه وسلم بمقابر باب الصغير ظاهر دمشق، فلما خرجت من تربته وجدت على الباب قبراً كبيراً فقيل لي: هذا قبر ابن عنين، فوقفت وترحمت عليه.

الديوان

ماذا على طيفِ الأحبةِ لو سرى

ماذا على طيفِ الأحبةِ لو سرى

وعليهم لو سامحوني بالكرى

جنحوا إلى قول الوُشاةِ فأعرضوا

واللهُ يعلم أنَّ ذلك مُفترى

يامُعرضاً عني بغير جنايةٍ

إلاَّ لما رقشَ الحسودُ وزوَّرا

هبني أسأتُ كما تقوَّلَ وافترى

وأتيتُ في حبّيك أمراً منكرا

ما بعد بُعدك والصدودِ عقوبةٌ

يا هاجري قد آن لي أنْ تغفرا

لاتجمعنَّ عليَّ عَتْبكَ والنوى

حسبُ المحب عقوبةً أن يهجرا

عبءُ الصدود أخفُّ من عبء النوى

لو كان لي في الحب أن أتخيَّرا

لو عاقبوني في الهوى بسوى النوى

لرجوتُهم وطمعتُ أن أتصبَّرا

فسقى دمشقَ ووادِيَيها والحمى

متواصلُ الإرعادِ منفصمُ العرى

حتى ترى وجهَ الرياضِ بعارضٍ

أحوى وفودَ الدوح أزهرَ نيِّرا

وأعاد أياماً مضَين حميدةً

ما بين حرَّةِ عالقين وعشترا

تلك المنازلُ لا أعقّةُ عالجٍ

ورمالُ كاظمةٍ ولا وادي القرى

أرضٌ إذا مرَّتْ بها ريحُ الصَّبا

حملتْ على الأغصان مسكاً أذفرا

فارقتُها لا عن رضىً وهجرتُها

لا عن قلىً ورحلتُ لا متخيِّرا

أسعى لرزقٍ في البلاد مفرّقٍ

ومن البليَّة أنْ يكون مقتَّرا

ولقد قطعتُ الأرضَ طوراً سالكاً

نجداً وآونةً أجدُّ مُغَوّرا

وأصونُ وجهَ مدائحي متقنّعاً

وأكفُّ ذيلَ مطامعي متستّرا

كم ليلةٍ كالبحر جبتُ ظلامها

عن واضح الصبح المنير فأسفرا

في فتيةٍ مثل النجوم تسنَّموا

في البيد أمثالَ الأهلةِ ضمَّرا

باتوا على شُعَب الرحال جوانحاً

والنومُ يفتل في الغوارب والذُّرى

مترنّحين من النُّعاس كأنهم

شربوا بكاساتِ الوجيف المسكرا

قالوا وقد خاط النُّعاسُ جفونَهم

أين المُناخُ فقلتُ جدوا في السرى

لا تسأموا الإدلاجَ حتى تُدركوا

بيضَ الأيادي والجنابَ الأخضرا

في ظلَ ميمونَ النَّقيبةَ طاهر الـ

أعراق منصور اللواءِ مظفَّرا

العادل الملك الذي أسماؤه

في كلّ ناحيةٍ تشرِّف مِنبرا

وبكلّ أرضٍ جنةٌ من عدله الـ

ـضافي أسالَ نَداه فيها كَوثرا

عدلٌ يبيتُ الذئبُ منه على الطوى

غرثانَ وهو يرى الغزالَ الأعفرا

ما في أبي بكر لمعتقد الهدى

شكٌّ يريبُ بأنه خيرُ الورى

سيفٌ صقالُ المجدِ أخلصَ متنهُ

وأبان طيبُ الأصلِ منه الجوهرا

ما مدحُه بالمستعار له ولا

آياتُ سؤدده حديثٌ يفترى

بينَ الملوكِ الغابرينَ وبينه

في الفضلِ ما بين الثريا والثرى

لا تسمعنَّ حديثَ ملكٍ غيره

يروى فكلُّ الصيدِ في جوفِ الفرا

نسختْ خلائقُه الكريمةُ ما أتى

في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا

كم حادثٍ خفَّت حلومُ ذوي النُّهى

في الرَّوع وادَ رزانةً وتوقُّرا

ثبت الجنان ثُراعُ من وثباته

يوم الوغى وثباته أسدُ الشرى

يقظٌ يكادُ يقولُ عمَّا في غدٍ

ببديهةٍ أغنتهُ أن يتفكّرا

حلمٌ تخفُّ له الجبالُ وراءَه

عزمٌ ورأيٌ يحقرُ الإسكندرا

يعفو عن الذَّنب العظيم تكرُّماً

ويصدُّ عن قول الخنا متكبّرا

أينال حاسده علاه بسعيهِ

هيهاتَ لو ركب البُراقَ لقصَّرا

وله البنونَ بكل أرضٍ منهم

ملكٌ يقودُ إلى الأعادي عسكرا

من كلّ وضّاح الجبين تخالهُ

بدراً فإن شهد الوغى فغضنفرا

يعشو إلى نار الوغى شغَفاً بها

متقدِّمٌ حتى إذا النقعُ انجلى

بالبيض عن سبي الحريم تأخَّرا

قومٌ زكوا ألاً وطابوا مخبراً

وتدَّفقوا جوداً وراعوا منظرا

وتعافُ خيلُهمُ الورودَ بمنهلٍ

ما لم يكن بدم الوقائع أحمرا

حادثٍ خفَّتْ حلوم ذوي النُّهى

خوفاً وجأشُك فيه أربط من حِرا

يا أيها الملك الذي ما فضا

ثله وسؤدده ومحتده مرا

أنت الذي افتخر الزمان بجوده

ووجوده وكفاه ذلك مَفخرا

أللهُ خصَّك بالممالك واجتبى

لمَّا رآك لها الصلاح الأكبرا

أشكو إليك نوىً تمادى عمرُها

حتى حسبتُ اليومَ منها أشهُرا

لا عيشتي تصفو ولارسم الهوى

يعفو ولا جفني يصافحُه الكَرى

أضحي عن الأحوى المريع محلأ

وأبيتُ عن وِرْدِ النمير منفَّرا

ومن العجائب أنْ تفيَّأ ظلّكم

كلّ الورى ونبذت وحدي بالعرا

ولقد سئمت من القريض ونظمه

ما حيلتي ببضاعةٍ لا تُشترى

كسدتْ فلما قمتُ ممتدحاً بها

ملك الملوك غدوت أربح متجرا

فلأشكرنَّ حوادثاً قذفت بآ

مالي إليك وحقُّها أن تشكرا

لازلت ممدود البقا حتى ترى

عيسى بعيسى في الورى مستنصرا

جعل العتاب الى الصدود توصّلا

جعل العتاب الى الصدود توصّلا

ريمٌ رمى فأصاب مني المقتلا

أغراه بي واشٍ تقوَّل كاذباً

فأطاعه وعصيت فيه العذَّلا

ورأى اصطباري عن هواه فظنَّه

ملالاً وكان تقيةً وتجمُّلا

هيهات أنْ يمحو هواه الدهرَ من

قلبي ولو كانت قطيعتُه قِلى

ما عمَّه بالحسن عنبرُ خالِه

إلا ليصبح بالسواد مجملا

صافي أديم الوجه ما خطَّت يد الـ

أيَّام في خدَّيه سطراً مشكلا

كلٌّ مقرٌّ بالجمال له فما

يحتاج حاكم حسنه أن يُسجلا

يفتَرُّ عن مثل الأقاحِ كأنما

علَّتْ منابتُه رحيقاً سلسلا

ترفٌ تخال بنانه في كفّه

قُضُبَ اللُّجَين ولا أقول الإسحِلا

ما أرسلت قوسُ الحواجب أسهماً

من لحظه إلا أصابتْ مقتلا

فكأنَّ طرَّته وَضَوْءَ جبينِه

وضحُ الصباح يقلُّ ليلاً أليلا

عاطيته صهباءَ كللَّ كأسها

حببُ المزاح بلؤلؤٍ ما فصّلا

تبدو بكفّ مديرها أنوارُها

فتعيد كافورَ الأنامل صندلا

في روضةٍ بالنَّيربين أريضةٍ

رضعتْ أفاويق السحائب حُفَّلا

أنّى اتجهتَ رأيتَ ماءً سائحاً

متدفقاً أو يانعاً متهدّلا

فكأنما أطيارها وغصونها

نغم القيان على عرائس تجتلى

وكأنما الجوزاءُ ألقتْ زهرها

فيها وأرسلتِ المجرةُ جدولا

ويمرّ معتلُّ النسيمِ بروضها

فتخالُ عطَّاراً يُحرّق منَدلا

فكأنها استسقت على ظمأٍ ندى

موسى فأرسل عارضاً متهلّلا

ولربّ لائمةٍ عليّ حريصةٍ

باتتْ وقد جمعتْ عليَّ العُذَّلا

قالتْ أما تخشى الزمانَ وصرفهُ

وتقلُّ من إتلاف مالك قلتُ:لا

أأخافُ من فقرٍ وجود الأشرفِ الـ

سلطان في الآفاق قد ملا الملا

الواهبِ الأمصارَ محتقراً لها

إنْ غيره وهب الهجانَ البزّلا

ما زار مغناه فقيرٌ سائِلٌ

فيعود حتى يستماحَ ويسألا

ملكٌ غدا جيدُ الزمان بجوده

حالٍ ولولاه لكان معطّلا

يا أيها الملكُ الذي إنعامه

لم يُبق في الدنيا فقيراً مُرْمِلا

لقد اتقيت اللهَ حقَّ تُقاته

ونهجتَ للناس الطريقَ الأمثلا

وعدلتَ حتى لم تجد متظلمّاً

وأخفتَ حتى صاحبَ الذئبُ الطُّلا

ورفعتَ للدين الحنيف مناره

فعلاً وكنتَ بنصره متكفّلا

لولاكَ لانفصمت عرى الإسلام في

مصرٍ وأُخْمِلَ ذكره وتبدَّلا

تحكمت فيها الفرنجُ وغادرت

أعلاجها محارب عمروٍ هيكلا

حاشا لدينٍ أنت فيه مطفرٌ

أنْ يُستباحَ حِماه أو أنْ يخذلا

أنت الذي أجليت عن حلب العدا

وحميتَ بالسُّمر اللدان الموصلا

كم مَوْفِقٍ ضنكٍ فرجتَ مضيقَه

وطريقه لخائفه قد أشكلا

كم يوم هولٍ قد وردت وطعمه

مر المذاق كريه نار المصطلا

ونثرتَ بالبيض المهنَّدةِ الطُّلى

ونظمتَ بالسُّمر المثقَّفةِ الكُلى

فاللهُ يخرقُ في بقائكَ عادةَ الد

نيا ويعطيكَ البقاءَ الأطولا

لو لم يخالط بينك أضلعي

لو لم يخالط بينك أضلعي

قاني دمي ما كنت إلا مدعي

قد صحَّ عندك شاهدٌ من عَبرتي

فسل الدجى ونجومه عن مضجعي

عاقبتني بجناية لم أجنها

ظلماً وكم من حاصدٍ لم يزرع

ومنعتَ طيفكَ من زيارة عاشقٍ

حاولت مهجته فلم يتمنّع

وأمالك الواشي ولولا غِرَّةٌ

كان الصِّبى سبباً لها لم تخدع

فجمعتُ أثقالَ الصدودِ إلى النوى

فوق المَلام إلى فؤادٍ موجَع

يا راحلاً والقلبُ بين رحاله

يقتادهُ حفظاً لعهدٍ مضيّع

هلاَّ وقفتَ على محبّك حافظاً

عهد الهوى فيه وقوفَ مودّع

كيف السبيل إلى السلوّ ولم تُعدْ

عقلي عليَّ ولم تدعْ قلبي معي

فسقى زماناً مرّ لي بطويلع

صوبُ الحيا وسقى عراص طويلع

فلأصبرنّ على الزمان وجوره

صبر امريءٍ متجمّلٍ لم يخضع

ولألبسنَّ من التّجلدِ نثرةً

حصداءَ تهزأُ من سوابغَ تبّع

ولأشكرنَّ حوادثاً قذفتْ بآ

مالي إلى الملك الهمام الأروع

ضافي لباس المجدِ صافي المَشرع

ورأتُ أحسنَ منظرٍ وخبرتُ أطـ

يبَ مخبرٍ وحللتُ أرفعَ موضع

في ظلِّ وضّاح الجبين سميذع

من نسلِ وضّاح الجبين سميذع

الأشرفِ الملك الذي بذلُ النَّدى

من كفّه طبعٌ بغيرِ تطبُّع

ملكٌ له يوم الهياج مواقفٌ

مشهورةٌ لا يدعيها مُدَّعي

متبسّمٌ في كلِّ يومٍ عابس

متوضّحٌ في كل خطبٍ أسفَع

يروي حرارَ السّمهري بكفه

يوم الوغى من قلب كل مدرّع

سيَّان عند يمينِه وحسامِه

في الحربِ هامةُ حاسرٍ ومعمَّع

ولطالما حطم الوشيجَ بكفّه

من بعدِ حشوِ الدرع بين الأضلع

ملكٌ متى استسقيتَ بحرَ يمينه

جادتْ عليك بديمةٍ لم تُقلع

حسنتْ مواقعُها وكم مِن ديمةٍ

جهلتْ فجادتْ في سباخٍ بلقع

ولطالما غشيَ الوغى بثلاثةٍ

في ظهرِ منسوبٍ يطيرُ بأربع

بأصمَّ معتدلٍ وأبيضَ صارمٍ

وجنانُ مضَّاء العزيم مشيَّع

كم موقفٍ ضنكٍ فلولا صبرُه

فيه لوقع البيض لم يتوسَّع

من معشرٍ شرعوا السَّماح وأرشدوا

فيه العُفاةَ إلى طريقِ مَهيَع

فبلغتُ من نعماه مالا ينتهي

أملي ولم يطمحْ إليهِ مطمعي

وصروفَ دهري أن تطوفَ بمربعي

متبرعٌ بالجودِ قبلَ سؤاله

والجودُ جود البادىء المُتبرّع

فغدوتُ أنشد جوده متمثلاً

ونوالهُ مثلَ السُّيول الدُّفع

ولقد دعوتُ ندى الكرام فلم يجب

فلأشكرنَّ ندىً أجابَ وما دعى"

قسماً بمن ضمَّتْ أباطحُ مكةٍ

قسماً بمن ضمَّتْ أباطحُ مكةٍ

وبمن حواهُ من الحجيج الموقفُ

لو لم يقم موسى بنصر محمدٍ

لعلا على درج الخطيب الأسقُفُ

لولاهُ ما ذلَّ الصليبُ وأهلهُ

في ثغر دمياطٍ وعزَّ المصحفُ

أشاقك من عُليا دمشقَ قصورُها

أشاقك من عُليا دمشقَ قصورُها

وولدانُ روض النَّيربين وحورُها

ومنبجسٌ في ظلّ أحوى كأنه

ثيابُ عروسٍ فاحَ منها عبيرُها

منازلُ أنسٍ ما أمحَّتْ ولا امَّحتْ

بمرِّ الغوادي والسواري سطورها

كأنَّ عليها عبقريَّ مطارفٍ

من الوَشي يُسديها الحَيا ويُنيرُها

تزيد على الأيام نوراً وبهجةً

وتذوي الليالي وهي غضٌّ حَبيرُها

إذا الريحُ مرَّتْ في رباها كريهةً

حباها بطيب النشرِ فيها مرورها

سقى اللهُ دوْحَ الغُوطتين ولا ارتوى

من الموصلِ الحدباءِ إلا قبورُها

فيا صاحبي نجواي بالله خبِّرا

رهينَ صباباتٍ عسيرٌ يسيرُها

أمن مرحِ مادتْ قدودُ غصونها

ببهجتها أم أطربتها طيورها

خليليَّ إنَّ البينَ أفنى مدامعي

فهل لكما من عبرةٍ أستعيرها

لقد أنسيت نفسي المسراتُ بعدكم

فإنْ عادَ عيدُ الوصلِ عاد سرورها

على أنَّ لي تحت الجوانح غلَّةً

إذا جادها دمعٌ تلظَّى سعيرُها

وقاسمتماني أن تعينا على النوى

إذا نزواتُ البين سار سؤورُها

ففيمَ تماديكم وقد جدَّ جدُّها

كما تريانواستمرَّ مريرُها

وأصعبُ ما يلقي المحبُّ من الهوى

تداني النوى من خلةٍ لا يزورها

فيا ليتَ شعري الآنَ-دع ذكر ما مضى-

أوائل أيامِ النوى أمْ أخيرُها

متى أنا في ركبٍ يؤمُّ بنا الحمى

خفافٌ ثِقالٌ بالأماني ظهورُها

حروفٌ بأفعالٍ لهنَّ نواصبٌ

إذا آنستْ خفضاً فرفعٌ مسيرُها

تظنُّ دُرى لبنانَ والليّلُ عاكفٌ

صديعَ صباحٍ من سُراها يجيرُها

وقد خلَّفتْ رعنَ المداخل خلفَها

ونكَّبَ عنها من يمين سنيرها

فيفرحَ محزونٌ وَيكبتَ حاسدٌ

وتبردَ أكبادٌ ذكيٌّ سعيرها

وقد ماتتْ الآمالُ عندي وإنما

إلى شرفِ الدين المليكِ نُشورُها

مليكٌ تحلى الملكُ منه بعزمةٍ

بها طالَ مِن رمح السِماك قَصيرُها

يلاقي بني الآمال طلقاً فبشرهُ

بما أمَّلته من نجاحٍ بَشيرُها

فما نعمةٌ مشكورةٌ لا يبثُّها

وما سيرةٌ محمودةٌ لا يَسيرُها

همامٌ تظلُّ منه الشمسُ منعزماتهِ

محجبةٌ نقعُ المذاكي ستورها

مهيبٌ فلو لاقى الكواكب عابساً

تساقطتِ الجوزا وخرَّت عَبورُها

تشرّفُ أندى السحبِ إنْ قال قائلٌ

لأدنى نوالٍ منه هذا نظيرُها

حلفتُ بما ضمتْ أباطحُ مكةٍ

غداةَ منىً والبُدْنُ تَدمى نُحورُها

لقد فازَ بالملكِ المعظَّمِ أمةٌ

إلى عدله المشهور رُدَّتْ أُمورُها

عسى البارق الشاميُّ يهمي سحابهُ

عسى البارق الشاميُّ يهمي سحابهُ

فتخضلَّ أثباجُ الحمى ورحابهُ

وتسري الصباي جانبيه عليلةً

كما فتقتْ من حضرميّ عيابهُ

خليليّ ما لي بالجزيرة لا أرى

للمياءَ طيفاً يزدهيني عتابهُ

فيا من لراجٍ أنْ تبيتَ مُغِذَّةً

ببيداءَ دونَ الماطرونَ ركابهُ

إذا جبلُ الريُّان لاحتْ قبابهُ

لعيني ولاحتْ من سنيرِ هضابه

وهبَّتْ لنا ريحٌ أتتنا من الحِمى

تحدثُ عمّا حمّلتها قبابه

وقامتْ جبالُ الثلج زُهراً كأنها

بقيَّةُ شيبٍ قد تلاشى خضابُه

ولاحتْ قصورُ الغوطتين كأنها

سفائنُ في بحرٍ يعبُّ عُبابُه

وأعرض نسرٌ للمصلَّى غديَّةً

كما انجابَ عن ضوءِ النهار ضَبابُه

لثمتُ الثرى مستشفياً بترابه

ومَن لي بأنْ يَشفي غليلي ترابُه

ومستخبرٍ عنَّا وما من جهالةٍ

كشفتُ الغِطا عنه فزالَ ارتيابُه

وأذْكَرُتُه أيام دمياط بيننا

وبين العدى والموتُ تهوي عُقابُه

وجيشاً خلطناهُ رحابٌ صدورهُ

بجيشٍ من الأعداءِ غلبٍ رقابه

وقد شرقتْ زرقُ الأسنَّةِ بالدما

وأنكرَ حدَّ المشرفيِّ قرابه

وعرَّد إلاَّ كلَّ ذمرٍ مغامسٍ

ونكَّبَ إلاّ كلَّ زاكٍ نصابه

تركناهمُ في البحر والبر لُحمةً

تقاسمهمْ حيتانه وذئابه

ويوماً على القيمون ماجتْ متونهُ

بزرق أعاديه وغصَّتْ شِعابُه

نثرنا على الوادي رؤوساً أعزَّةً

لكل أخي بأسٍ منيعٍ جنابُه

ورضنا ملوكَ الأرض بالبيض والقنا

فذلَّ لنا من كل قطرٍ صعابه

فكم أمردٍ خطَّ الحسامُ عذاره

وكم أشيبٍ كان النجيعَ خضابه

وكم قد نزلنا ثغرَ قوم أعزَّةٍ

فلم نَرْتَحِلْ حتى تَداعى خرابُه

وكم يوم هولٍ ضاقَ فيه مجالُنا

صبرنا له والموتُ يُحرق نابُه

يسيرُ بنا تحتَ اللواءِ ممدَّحٌ

كريمُ السجايا طاهراتٌ ثيابُه

نجيبٌ كصدرِ السمهريِّ منجّحٍ الـ

ـسرايا كريمُ الطبع صافٍ لبابُه

من القومِ وضَّاحُ الأسرَّةِ ماجدٌ

إلى آلِ أيوبَ الكرامِ انتسابُه

ففرَّج ضيقَ الْقَوْمِ عنَّا طعانُه

وشتَّت شملَ الكفرِ عنّا ضِرابُه

وأصبح وجهُ الدين بعد عبوسهِ

طليقاً ولولاهُ لطالَ اكتئابه

جهادٌ لوجه اللهِ في نصر دينهِ

وفي طاعةِ اللهِ العزيزِ احتسابُه

حميتُ حمى الإسلامِ فالدينُ آمنٌ

تُذاد أقاصيهِ ويُخشى جنابُه

وما بغيتي إلاَّ بقاؤك سالماً

لذا الدين لا مالٌ جزيلٌ أُثابُه

ما سرُّ سكان الحِمى بمُذاع

ما سرُّ سكانِ الحِمى بمُذاع

عندي ولا عهدُ الهوى بمضاع

أين الحِمى مني سقى اللهُ الحِمى

ريّاً وكان له الحفيظ الراعي

ومنازلاً بينَ البقاع وراهطٍ

أكرمْ بها من أربُعٍ وبقاع

تلكَ المنازلُ لا منازلُ أنهجتْ

بين الكثيب الفردِ والأجراع

كم بات يُلهينى بها مصنوعةُ الـ

ألحان أو مطبوعةُ الأسجاع

إنسيةٌ بيضاءُ أو أيكيةٌ

ورقاءُ عاكفةٌ على التَّرجاع

كحلاءُ ضاقتْ عن إجالةِ مرْودٍ

وجراحها في القلبِ جدُّ جراع

ومدامةٍ لم يُبقِ طولُ ثَوائها

في خِدرها إلاَّ وميضَ شُعاع

من كفِّ مصقول العوارض آنسٍ

يرنو بمقلة جؤذرٍ مُرتاع

وقفتْ عقاربُ صدغهِ في خدهِ

حيرى وباتتْ في القلوب سواعي

راضتْ خلائقهُ العقارُ وبدِّلتْ

نزقَ الصبى بموقرٍ مطواع

في روضةٍ نسجتْ وشائعَ بُرْدها

كفُّ السَّحاب وأيُّ كفّ صنَاع

حلَّتْ بها الجوزاءُ عِقد نطاقِها

فتباشرتْ بالخصبِ والإمراع

وعلا زئيرُ الليثِ في عرصاتها

ما بينَ طرْفٍ واكفٍ وذراع

وتدافعتْ تلك التلاعُ فأتأقتْ

غدرانها بأتيٍّ ذي دفَّاع

فكأنّما الملكُ المعظّمُ جادها

بنوالِه المتدفق المُنْباع

الخائض الغَمَراتِ في رَهَج الوغى

والحربُ حاسرةٌ بغير قِناع

والقومُ بينَ مردَّعٍ بدمائهِ

ومعرّدٍ بذمائه مُنْصاع

في موقفٍ ضنكٍ كريهٍ طعمهُ

حُبسَ الفوارسُ منه في جَعجاع

بمطهَّمٍ نهدٍ كأنَّ مرورهُ

سيلٌ تدافع من متون تلاع

أولقوةٍ شغواءَ حفَّق طرفُها

من رأسِ مرقبةٍ طلاً في قاع

ومهنَّدٍ يبدو على صفحاتهِ

رقراقُ ماءٍ فوق نملٍ ساع

ومثقّفٍ إنْ رامَ مهجةَ فارسٍ

لم تَحمها موضونةُ الأدراع

فكأنَّ مُحكمةَ السوابغ عنده

من نسج خرقاءَ اليدين لكاع

بجنانِ مضَّاءِ العزائم رأيهُ

في الحربِ غيرُ الفائلِ الضَّعضاع

وكأنّما يختالُ في غمراتها

والنقعُ قد ستر الدُّجى بلِفاع

ليثُ الشرى في متن أجدلَ كاسرٍ

في الأرض تسألُ عن ذوي الإدقاع

خُلقتْ أناملُهُ لحطم مُثقَّفٍ

ولفلَّ هنديّ وحفظِ يراع

ما رايةٌ رفعتْ لأبعدِ غايةٍ

إلاّ تلقّاها بأطولَ باع

ملأتْ مساعيهِ الزمانُ فدهرهُ

يومانَ يومُ قرىً ويومُ قراع

وشأتْ أياديهُ الغيوثُ لأنها

تبقى وتلك سريعةُ الإقلاع

وله إذا افتخر الملوكُ مفاخرٌ

لا تُعتَلى بأبُوَّةٍ ومَساع

ماأوقدتْ نارُ الكرام بوهدةٍ

في المحل إلاّ شَبَّها بيَفاع

ترجوهُ أملاكُ الزمان وتتّقي

سطواتُ ضرّارٍ لهم نفاّع

يأيها الملكُ المعظَّمُ دعوةً

من نازحٍ قلق الحشا مُرتاع

لا يأتلي لدوامِ ملكِكَ داعياً

وإلى وَلائك في المحافِلِ داعي

يُهدي إليك من الثَّناءِ ملابساً

تضفو وتصفو من قذى الأطماعِ

مصقولةَ الألفاظِ يلقاها الفتى

من كل جارجةٍ بسمعٍ واعِ

فأبدعتَ فيما تنتحيه فأبدعتْ

فيك المدائحُ أيَّما إبداعِ

فإلى متى أنا بالسفارِ أضيّعُ الـ

أيامَ بين الشدّ والإيضاعِ

حلفَ الرَّحالةَ والدجى فرواحلي

ما تأتلي ممعوطةَ الأنساعِ

أشبهتُ عِمراناً وأشبهَ كلُّ منْ

جاوزتُ منزلهُ فتى زنباعِ

بَيْنا أُصَبّحُ بالسلامِ محلةً

حتى أمسّي أهلها بوداعِ

أبدأ أرقّحُ كي أرقّعَ خلّةً

من حالةٍ مثل الردا المُتداعي

قسماً بما بينَ الحطيمِ إلى الصّفا

من طائف متنسكٍ أو ساعِ

إني إلى تقبيلِ كفكَ شيّقٌ

شوْقاً يضمُّ على جوىً أضلاعي

صليلُ المواضي واهتزازُ القنا السُّمر

صليلُ المواضي واهتزازُ القنا السُّمر

بغيرهما لا يُجتنى ثمرُ النَّصرْ

وصبرً الفتى في المأزقِ الضنكِ فادحٌ

وركنّهُ أهدى طريقٍ إلى الفر

وتحت ظلامِ النَّقع تُشرقُ أوجهُ الـ

ثناءِ وجمعُ المجدَ في فرقةِ الوقر

وما استعبدَ الأحرار كالعفوِ إنْ جنى

جَهولٌ وفضلُ الصدرِ في سَعة الصدر

ومن لم تنوهْ باسمه الحربُ لم يزلْ

وإنْ كرمتْ آباؤهُ خاملَ الذكر

إذا غشيَ الحربَ العَوانَ تمخَّضتْ

وقد لقحتْ عن فتكةٍ في العدى بكر

خلالٌ علىً لولا المعظَّمُ أعجزتْ

طرائقُها الأملاكَ بعد أبي بكر

هلالٌ وبدرٌ أشرقا فابتهالُنا

إلى الله إبقاءُ الهلالِ مع البدر

مليكٌ إذا ما جالَ في متنِ ضامرٍ

ليومٍ وغىً أبصرتَ بحراً على بحر

عليمٌ بتصريفِ القنا فرماحُه

مواقعُها بين التَّرائبِ والنَّحر

إذا علَّ في صدر المدجَّج عاملاً

بدا علُّهُ فوقَ السنان على الظهرِ

وما مشبلٌ من أسدَ خفَّانَ باسلٌ

يذودُ الرَّدى عن أم شبلين في خدرِ

هزبرٌ إذا اجتازَ الأسودُ بغيلهِ

فأشجعها خافي الخطى خافتُ الزَّأرِ

حواليهِ أشلاءُ الوحوشِ نضيدةٌ

غريضٌ على مستكرهٍ صائكِ الدَّفرِ

بوادٍ تَحاماهُ الأُسودُ مهابةً

ونكَّبَ عن مسراهُ والجةُ السَّفرِ

بأعظمَ منه في القلوبِ مهابةً

وإنْ غضَّ منها بالطَّلاقةِ والبشرِ

بكلَّ فتىً من آلِ أيوبَ لم يزلْ

دِفاعاً لخطبٍ أو سِداداً على ثَغرِ

إذا استلأموا يومَ النِزال حسبتَّهم

أسودَ العرينِ الغلبِ في غايةِ السُّمرِ

فلا وزرٌ من بأسه لعداتهِ

ولو وقلتْ كالعصمِ في شامخٍ وعرِ

ولو حاولَ المريخُ في الأفق منعها

لخيَّم ما بين النَّعائم والغَفرِ

فيا أيّها الملكُ المعظَّمُ دعوةً

إليكَ لمطويّ الضلوع على جمرِ

غريبٌ إذا ما حلّ مصراً أبى له

وشيكُ النوى إلاّ ارتحالاً إلى مصرِ

له غُنيةٌ عن غيركم من قناعةٍ

وأمّا إلى معروفكم فأخو فقرِ

فحتّامَ لا أنفكُّ في ظهرِ سبسبٍ

أهجّرُ أو في بطن دويّةٍ قفرِ

أُشقّقُ قلبَ الشرقِ حتى كأنني

أفتشُّ في سودائهِ عن سنا الفجرِ

ويقبحُ بي أن أرتجي من سواكمُ

نوالاً وأن يعزى إلى غيركم شكري

سلوا صهواتِ الخيلِ يومَ الوغى عنَّا

سلوا صهواتِ الخيلِ يومَ الوغى عنَّا

إذا جهلتْ آياتُنا والقَنا اللُّدْنا

غداةَ لَقِيَنا دونَ دمياطَ جحفلاً

من الروم لا يُحصى يقيناً ولا ظنا

قد اتفقوا رأياً وعزماً وهمةً

وديناً وإن كانوا قد اختلفوا لُسنا

تداعوا بأنصارِ الصليبِ فأقبلتْ

ولُوغاً ولكنَّا ملكنا فأسجحنا

عليهمْ من الماذيّ كلُّ مفاضةٍ

دلاصٍ كقرنِ الشمسِ قد أحكمتْ وضنا

وأطعمهم فينا غرورٌ فأرقلوا

إلينا سراعاً بالجيادِ وأرقلنا

فما برحتْ سمرُ الرماح تنوشهم

بأطرافها حتى استجاروا بنا مِنَّا

سقيناهم كأساً نفتْ عنهمُ الكرى

وكيف ينامُ الليلَ من عَدِم الأمنا

لقد صبروا صبراً جميلاً ودافعوا

طويلاً فما أجدى دفاعٌ ولا أغنى

فألقَوْا بأيديهم إلينا فأحسنَّا

وما برحَ الإحسانُ منا سجيّةً

تَوارثَها عن صِيد آبائِنا الأبنا

منحنا بقاياهم حياةً جديدةً

فعاشُوا بأعناقٍ مقلَّدةٍ مَنَّا

ولو ملكوا لم يأتلوا في دمائنا

وقد جرَّبونا قبلها في وقائعٍ

تعلّمغمر القوم منّا بها الطعنا

فكم مِن مليكٍ قد شددنا إساره

وكم من أسيرٍ من شقا الأسر أطلقنا

أسودُ وغىً لولا قراعُ سيوفنا

لما ركبوا قيداً ولاسكنوا سجنا

وكم يوم حرٍّما لقِينا هجيرَه

بسترٍ وقُرٍّ ما طلبنا له كِنَّا

فإنّ نعيمَ الملك في شظفِ الشّقا

يُنال وحلوَ العزّ من مُرّه يُجنى

يسيرُ بنا من آل أيوبَ ماجدٌ

أبى عزمُه أن يَستقرَّ به مغنى

كريمُ الثنا عارٍ من العارِ باسلٌ

جميلُ المحيّا كاملُ الحسن والحسنى

لعمركَ ما آياتُ عيسى خفيّةٌ

هي الشمسُ للأقصى سناءً وللأدنى

سرى نحو دمياطٍ بكل سميذعٍ

نجيبٍ يرى وردَ الوغى الموردَ الأهنا

فأجلى علوجَ الروم عنها وأفرحتْ

قلوبُ رجالٍ حَالفتْ بعدَها الحزنا

وطهّرها من رجسهم بحسامه

همامٌ يرى كسبَ الثنا المغنم الأسنى

مآثرُمجدٍ خلَّدتها سيوفُه

لها نبأ يفنى الزمانُ ولا يفنى

وقد عرفتْ أسيافنا ورقابهم

مواقعَها فيها فإنْ عاودوا عدنا

أرى شأنيكَ شأنهما انبجاسُ

أرى شأنيكَ شأنهما انبجاسُ

تجنَّبَ مقلتيكَ له النُّعاسُ

تُداوي داءَ شوقك بالأماني

فيُدركه من اليأس انتكاسُ

أحنُّ ومن وراءِ النهرِ داري

حنينَ العَود أوْثقهُ العِراسُ

فبانتْ عنه شِرَّتُه ولانتْ

عريكتُهُ وكان به شِماسُ

بأرضٍ لا الكلابُ بها كلابٌ

ولا الناسُ السَّراةُ هناك ناسُ

لهم حملٌ بوعدكَ إنْ أرادوا

جميلاً لا يكون له نفاسُ

فكيف تبيتُ تطمعُ في مديحي

رجاءَ نَوالها العجمُ الخِساسُ

إذا طمعٌ كسا غيري ثياباً

يذلُّ بها كساني بها العزَّ ياسُ

ولو أني مدحتُ ملوكَ قومي

تراغَتْ حوليَ النَّعَمُ الدِّخاسُ

فإنَّ الناسَ في طرقِ المعالي

لهم تَبَعٌ وهم للناسِ راسُ

ملوكٌ دأبُهم شرفٌ ومجدٌ

ودأبُ سواهم طربٌ وكاسُ

فلولا آلُ أيوبَ بن شاذي

لكانَ لمعهدَ الجودَ اندراسُ

يدافعُ عن حماهم كل ذمرٍ

له في غمرةِ الموتِ انغماسُ

هم تركوا صليبَ الكفرِ أرضاً

يداسُ وكانَ معبوداً يباسُ

وأرْغمَ بأسُهم آنافَ قومٍ

تجنّبها لعزتها العطاسُ

أولو عدلٍ يموتُ الليثُ منه

طوىً وبجنبِ مأواهُ الكناسُ

بأحلامٍ موقرةٍ إذا ما

تزعزعَ يذبُلٌ وهفا قُساسُ

بنوا في ذروةِ العلياءِ بيتاً

لجودهم حواليهِ ارتجاسُ

فمن سمرِ الرماحِ له عمادٌ

ومن بيضِ الصفاحِ له أساسُ

حبيبٌ نأى وهو القريبُ المُصاقِبُ

حبيبٌ نأى وهو القريبُ المُصاقِبُ

وشحطُ نوىً لم تنضَ فيهِ الركائبُ

وإنَّ قريباً لا يُرجَّى لِقاؤهُ

بعيدٌ تناءى والمدى متقاربُ

ألينُ لصعبِ الخُلقِ قاسٍ فؤادُهُ

وأعتبهُ لو يرَ عويَ من يعاتبُ

من التركِ ميّاسُ القوامِ مهفهفٌ

له الدرُّ ثغرٌ والزُّمرُّدُ شاربُ

يفوّقُ سهماً من كحيلٍ مضيّقٍ

له الهدبُ ريشٌ والقسيُّ الحواجبُ

أسالَ عذاراً في أسيلٍ كأنّهُ

عَبيرٌ على كافورِ خدَّيهِ ذائبُ

وأثْبَتَ في حِقفِ النَّقَاخِيزُ رانة

تُقِلُّ هلالاً أطلعتْهُ الدَّوائبُ

سعتْ عقربا صُدغيهِ في صحنِ خدهِ

فهنَّ لقلبي سالباتٌ لواسبُ

عجبتُ لجفنيهِ وقد لجَّ سُقمُّها

فصحَّتْ وجسمي من أذاهنَّ ذائبُ

ومن خصرهِ كيفَ استقلَّ وقد غدتْ

تجاذبهُ أردافهُ والمناكبُ

ضنيتُ به حتى رثتْ لي عواذلي

ورقَّ لما ألقى العدوُّ المُناصبُ

وما كنتُ ممَّنْ يستكينُ لحادثٍ

ولكنَّ سلطانَ الهوى لا يغالبُ

سحائبُ أجفانٍ سوارٍ سواربُ

وأ'باءُ أشواقٍ رواسٍ رواسبُ

فهل ليَ من داءِ الصبابةِ مَخلصٌ

لعمري لقد ضاعتْ عليَّ المذاهبُ

حلبتُ شطورَ الدهر يُسراً وعُسرةً

وجرَّبتُ حتى حنكتني التجاربُ

فكم ليلةٍ قد بتُّ لا البدرُ مشرقٌ

يُضيءُ لِترائبهِ ولا النَّجمُ غاربُ

شققتُ دجاها لا أرى غيرَ همَّتي

أنيساً ولا لي غيرُ عزميَ صاحبُ

بممغوطة الأنساعِ قَوْدٍ كأنها

على الرملِ من إثرِ الأفاعي مساحبُ

وبحرٍ تبطَّنتُ الجواري بظهره

فجبنَ وهنَّ المقرباتِ المناجبُ

إلى بحرِ جودٍ يخجلُ البحرَ كفُّهُ

فقلْ عن أياديهِ فهنَّ العجائبُ

إلى ملكٍ ما جادَ إلاَّوأقلعتْ

حياءً وخوفاً من يديهِ السحائبُ

إلى أبلجٍ كالبدرِ يُشرقُ وجهُه

سناءً إذا التفتْ عليهِ المواكبُ

تسنَّمَ من أعلى المراتبِ رتبةً

تقاصرُ عن أدنى مداها الكواكبُ

لنا مِن نداهُ كلَّ يومٍ رغائبٌ

ومِن فعلهِ في كلّ مدحٍ غرائبُ

فتىً حصنهُ ظهرُ الحصانِ ونثرةٌ

تكلُّ لديها المُرهَفاتُ القَواضبُ

مضعافةٌ حتى كأنَّ قتيرها

حبابٌ حبتهُ بالعيونِ الجنادبُ

يريهِ دقيقُ الفكرِ في كلِّ مشكلٍ

من الأمرِ ما تُفضي إليه العواقبُ

أتيتُ إليهِ والزمانُ عنادهُ

عنادي وقد سدَّتْ عليّ المذاهبُ

ليرفعَ من قدري ويجزمَ حاسدي

وأصبحَ في خفضٍ فكم أنا ناصبُ

فلم أرَ كفاً عارضاً غيرَ كفّهِ

بوجهٍ ولم يزوَرَّ للسخط حاجبُ

قطعنا نِياطَ العيسِ نحوَ ابنُ حرَّةٍ

صفتْ عندهُ للمعتفينَ المشاربُ

إلى طاهرِ الأنسابِ ما قعدتْ به

عن المجدِمن بعضِ الجدودِ المناسبُ

دعا كوكباناً والنجومُ كأنها

نطاقٌ عليهِ نظَّمتهُ الثواقبُ

فرامَ امتناعاً عنهُ وهو مرادهُ

كما امتنعتْ عن خَلوة البَعل كاعبُ

وليس براشٌ منه أقوى قواعداً

وإنْ غرَّ من فيهِ الظُّنونُ الكواذبُ

تقِلُّ على كُثرالعديدِ عُدائه

وتكثُّر منهم في النوادي النوادبُ

ونصحي لهم أن يهربوا من عقابه

إليهِ فإنَّ النُّصحَ في الدين واجبٌ

بقيتَ فكم شرَّفتَ باسمكَ منبراً

وكم نالَ من فخرٍ بذكركَ خاطبُ

يا ظالماً جعل القَطيعةَ مَذْهبا

يا ظالماً جعل القَطيعةَ مَذْهبا

ظلماً ولم أرَ عن هواهُ مذهبا

وأضاعَ عهداً لم أُضيِعهُ حافظاً

ذممَ الوفاءِ وحالَ عن صبٍّ صبا

غادرتَ داعيةَ البعادِ محبّتي

فبأيِّ حالاتي أرى متقرّبا

ظبيٌ من الأتراكِ تَثْني قدَّهُ

ريحُ الصَبا ويُعيدُه لينُ الصِبى

ما بالهُ في عارضيهِ مسكهُ

ولقد عهدتُ المسكَ في سرر الظبا

غضبانُ لا يرضى فما قابلتهُ

متبسماً إلاّ استحالَ مقطّبا

أللهُ يعلمُ ما طلبتُ له الرضا

إلاَّتجنَّى ظالماً وتجنَّبا

كم قد جنى ولقيتُه متعذراً

فكأنني كنتُ المسيءَ المذنبا

فيزيدهُ طولُ التذلل عزَّةً

أبداً وفرطُ الإعتذارِ تعتّبا

عجباً له اتخذَ الوشاةَ وقولهم

صدقاً وعاينَ ما لَقيتُ وكذَّبا

ورأى جيوشَ الصبرِ وهي ضعيفةٌ

فأغارَ في خيلِ الصدودِ وأجلبا

يا بدرُ عمِّكَ بالملاحةِ خالكَ الد

اجي فخصَّكَ بالملاحةِ واجتبى

سبحانَ من أذكى بخدّك للصِبى

لَهباً تزيد به القلوبُ تلهُّبا

أوَ ما اكتفى من عارضيكَ بأرقمٍ

حتى لوى من فضلِ صُدغك عقربا

ملكٌ إذا ما الوفدُ حلَّ ببابهِ

ملكٌ إذا ما الوفدُ حلَّ ببابهِ

قالتْ شمائلُه الكريمةُ مرحبا

أندى الملوكِ ندىً وأطولهم يداً

وأعزُّهم خالاً وأكرمُهم أبا

ثبتُ الجَنان إذا الجبالُ تزعزعتْ

حامي الحقيقةِ حاملٌ ما أتعبا

ومقصّرٌ عن بعض ما أوليتُه

شكري وإنْ كنتَ الفصيحَ المسهّبا

ولو أنني نظَّمتُ فيكَ قلائد الـ

جوزاء كنتَ أجلَّ منها منصبا

لا تعرضنَّ لضيق المقل

لا تعرضنَّ لضيق المقل

فتبيتَّمن أمنٍ على وجلِ

واترك ظِباء التركِ سانحةً

لا تعترضْ لحبائل الأجلِ

فمتى يُفيقُ وقيدُ نافذةٍ

مشحوذةٍ بالسِحر والكحَلِ

لا يوقعنَّكَ عذبُ ريقتها

أنا من سُقيتُ السُّمَّ في العسلِ

من كلّ مائسةٍ منعَّمةٍ

غرقى الأياطلِ فعمةَ الكفلِ

خطرتْ بمثلِ الرمحِ معتدلٍ

ورنتْ بمثلِ الصارمِ الصقلِ

وتنفَّستْ عن عنبرٍ عبقٍ

وتبسَّمتْ عن واضحٍ رتلِ

خودٌ تعثّرُ كلما رقصتْ

من شعرها بمسلسلٍ رَجِلِ

بيضاءُ تنظرُ من مضيَّقةٍ

سوداءَ تهزأ من بني ثُعَلِ

وبليَّتي من ضِيقِ مُقلتِها

إنْ خِيفَ فتكُ الأعيُنِ النُّجُلِ

تسعى بصافيةٍ مُعتَّقةٍ

تبدو لنا في الكأسِ كالشُّعَلِ

هجرتْ بلوذانا مهاجرةُ

وتنصّلتْ من غلظة الجبلِ

وتعثَّقتْ في آبلٍ حقباً

لم تُمنَهنْ مزجاً ولم تُذَلِ

ودنتْ كأنَّ شعاعها قبسٌ

بادٍ وإنْ جلَّتْ عن المثلِ

في روضةٍ عُنيَ الربيعُ بها

فأبانَ صنعةَ علةِ العِلِلِ

وكأنَّ آذاراً تنوَّقَ في

ماحاكَ من حُلَلٍ لها وحُلي

وكأنما فَرشتْ بساحتها

فَرُشَ الزُّمرُّدِ راحةُ النَّفَل

وكأن كفَّ الجوّ من طربٍ

نثرتْ عليها أنجمُ الحمل

شقَّ الشقيقُ بها ملابسَهُ

حزناً على ديباجةِ الأصل

فكأنَّه قلبٌ تصدَّعَ عنْ

سودائِه فبدتْ من الخَلَل

خطبَ الهزارُ على منابرها

فاعجبْ لأعجمَ مفصحٍ غزل

ودعتْ حمائمُها مرجّعةً

فوقفتُ في شغلٍ بلا شغل

فكأنَّ في أغصانها سَحَراً

ثاني الثَّقيلِ ومطلق الرمل

وكأنّما أغصانها طربتْ

فتأوّدتْ كالشاربِ الثمل

جَرَّ النسيمُ بها مَطارفَهُ

فتنفَّستْ عن عنبرٍ شَمِل

همَّ الأُاحُ بلثم نرجسها

فثنى له ليتاً ولم يطل

وتنظَّم المنثورُ وافتضحَ النَّـ

مامُ وانقبضتْ يدُ الطَّفلِ

وأسالَ باناسٌ ذوائبَهُ

فتجعدتْ في ضيّق السُّبُلِ

أنّى اتجهتَ لقيتَ منبجساً

متدفقاً في يانع خضلِ

فكأنّها استسقتْ فباكرها

كفُّ العزيزِ بمسبلٍ هَطِلِ

يغشى الوغى والحربُ قد كشرتْ

للموتِ عن أنيابها المصلِ

والشمسُ كالعذراءِ كاسفةٌ

محجوبةٌ بالنّقع في كللِ

ملكٌ صوارمهُ رسائلهُ

إنَّ الصوارمَ أبلغَ الرسلِ

ملكٌ قصرتُ على مدائحهِ

شعري وعندَ نوالهِ أملي

لا أبتغي من غيره نعماً

كم عفتُ من برٍّ تعرضَ لي

عثَّرتَ خلفكَ كلَّ ذيث كرمٍ

يجري وراكَ وأنتَ في مَهَلِ

ومتى ينالُ علاكَ مجتهدٌ

هيهاتَ أين التُرْبُ من زُحَلِ

سفهاً بحلمي إن تركتُ أتِـ

ـيَّ السيلِ واستغنيتُ بالوَشَلِ

يا مخجلَ الغيثِ المُلِثّ إذا همى

يا مخجلَ الغيثِ المُلِثّ إذا همى

يا مخجلَ الغيثِ المُلِثّ إذا همى

ومُهَجّنَ البحرِ المحيطِ إذا طما

أنتَ الذي ما زالَ واضحُ رأيهِ

كالصبح إنْ ليلُ الحوادثِ أظلما

ياكعبةَ الفضلِ الذي ناديتهُ

بالحجّ أقدِمني إليها مُحرما

ما كانَ برقكَ خلّباً إذ شمتهُ

فعلامَ بتُّ وقد همى أشكو الظما

حاشا لمجدكَ أن ألوذ بظله

وأكونَ في أتباعهِ صلةً لما

ما قطّبتْ لي لي حاجباكَ فليتني

أدري وقيتُ الذمَّ لم عبساها

ومراميَ الأقصى يراهُ سماحكم

سهلاً وإقتاري يراهُ مغنما

ريح الشَّمال عساكِ أنْ تتحمَّلي

ريح الشَّمال عساكِ أنْ تتحمَّلي

خِدَمي إلى المولى الإمام الأفضلِ

وقفي بواديه المقدَّس وانظري

نورَ الهُدى مُتألقاً لا يَأتلي

مِن دوحةٍ فخريَّةٍ عُمَريَّةٍ

طابتْ مغارِسُ مجدها المُتأثل

مكيّةِ الأنسابِ زاكٍ أصلها

وفروعُها فوق السِماكِ الأعْزل

واستمطري جدوى يديهِ فطالما

خَلَفَ الحَيا في كل عامٍ مُمْحِل

نعمٌ سحائبها تعودُ كما بدتْ

لا يعرفُ الوسميُّ منها والولي

بحرٌ تصدَّرَ للعُلوم ومنْ رأى

بحراً تصدَّرَ قلبهُ في محفل

ومُشَمّرٌ في اللّه يَسْحبُ للتُّقى

والدين سربالُ العفافِ المسبل

ماتتْ بهِ بدعٌ تمادى عمرها

دهراً وكان ظلامُها لا يَنجلي

غلِطَ امروٌ بأبي علي قاسَهُ

ورسا سواه في الحضيض الأسفل

هيهاتَ قصَّرَ عن مداهُ أبو علي

لو أنَّ رسطاليسَ يسمعُ لفظةً

من لفْظِهَ لعرَتْهُ هزةُ أفْكَل

ولحارَ بطليموسُ لو لاقاهُ مِن

برهانهِ في كلِّ شكلٍ مشكل

فلو أنّهم جمعوا لديهِ تيقّنوا

أنَّ افضيلةَ لم تكنْ للأوّلِ

وبهِ يبيتُ الحلمَ معتصماً إذا

هزَّتْ رياحُ الشوقِ رُكنيْ يَدْبُلِ

يعفو عن الذنبِ العظيمِ تكرُّماً

ويجودُ مسؤولاً وإنْ لم يسألِ

أرضى الإلهَ بفعلهِ ودفاعهِ

عن دينِه وأقرَّ عينَ المُرسَلِ

يا أيها المولى الذي درجاتهُ

ترنو إلى فلكِ الثوابتِ من عِلِ

ما منصبٌ إلاّ وقدركَ فوقهُ

فبمجدكَ السامي يهنَّأُ ما تلي

فمتى أرادَ اللهُ رفعةَ منصبٍ

أفضى إليكَ فنالَ أشرفَ منزلِ

لا زالَ ربعكَ للوفودِ محطّةً

أبداً وجودكَ كهفَ كلّ مؤمّلِ

عجبتُ للطيفِ يا لمياءُ حين سَرى

عجبتُ للطيفِ يا لمياءُ حين سَرى

نحوي وما جالَ في عيني لذيذُ كرى

وكيف ترقدُ عينٌ طولَ ليلتِها

تدافعُ المقلقينَ الدمعَ والسهرا

باتتْ وساوسُ فكري فيكِ تخدعني

أطماعُها وتُريني آلهُ غُدُرا

أحبابَنا ما لِدمعي كلما اضطرمتْ

نارُ الجوى بينَ أحناءِ الضلوع جرى

وما لصبري الذي قد كنتُ أذخرُه

على النوى ناصراً يوم النوى غَدرا

وما لدهري إذا استسقيتُ أشرقني

على الظما وسقاني آجناً كدرا

يصفي لغيري على ريٍّ مواردهُ

ظلماً ويوردني المستوبلُ المقرا

أشكو إليه سَقاماً قد برى جسدي

أعيا الأساةَ ولو واصلتمُ لبرا

وليلةٍ مثل موج البحر بتُّ بها

أكابدُ المزعجينَ الخوفَ والخرا

حتى وردتُ بآمالي إلى ملِكٍ

لو رامَ رداً لماضي أمسِه قدرا

فأصبحَ الدهرُ مما كان أسلفَهُ

إليَّ في سالِف الأيامِ مُعتذِرا

وذادَ عني الرزايا حينَ أبصرني

بعزة الأمجدِ السلطانِ منتصرا

ملكٌ أرانا عليّاً في شجاعتهِ

وعلمهُ وأرانا عدلهُ عمرا

أغَرُّ ما نزعتْ عنهُ تمائِمُه

حتى تردَّى رداءَ الملكِ واتَّزرا

من آلِ أيوبَ أغنتنا عوارفهُ

في كالحِ الجَدبِ أن نستنزلَ المطرا

ثَبْتُ الجَنان له حلمٌ يُوقرُهُ

إنْ خامرَ الطيشُ ركنيْ يذبلٍ وحرا

الفارجُ الهَبَواتِ السودَ يوردُ في

مواقع الراشقاتِ الأبيضَ الذَّكرا

ومُقدمُ الخيلِ في لَبَّاتها قِصَدٌ

وعاقِرُ البُدنِ في يوميْ وغىً وقِرى

وخائضُ الهول والأبطال محجمةٌ

لا تستطيعُ به ورداً ولا صَدَرا

وثابتُ الرأي أغنتَ ألمعيَّتهُ

عن أن يشاركَه في رأيه الوُزرا

لا يتَّقي في الوغى وقعَ الأسنةِ با

لزَّعْفِ الدلاص كفاه سيفُه وَزَرا

عارٍ من العار كاسٍ من مفاخرهِ

تكادُ عزَّتُه تستوقفُ القَدَرا

تمضي المنايا بما شاءتْ أسنتهُ

إذا القنا بين فرسانِ الوغى اشتجرا

تكادُ تخفي النجومُ الزهرُ أنفَسها

خوفاً ويُشرق بَهْرامٌ إذا ذُكرا

يدعو العفاةُ إلى أمواله الجفلى

إذا دعا غيرهُ في الأزمةِ النقرى

مِن دَوْحة شَرُفتْ أعراقُها وزكتْ

منها الفروعُ وطابتْ مغرساً وثرى

لمَّا تخيَّرني أروي قصائِدَه

مضيتُ قُدماً وخلَّفتُ الرواة ورا

فاعجبْ لبحرٍ غدا في رأس شاهقةٍ

من العواصمِ طامٍ يقذفُ الدررا

شعرٌ سمتْ بهِ الشعرى لشركتها

فيه فقامتْ تُباهي الشمسَ والقمرا

لو قامَ بعضُ رواةِ الشعرِ ينشدهُ

يوماً بأرض أزالٍ أخجلَ الحبَرا

سحرٌ ولكنَّ هاروتاً وصاحبهُ

ماروتَ ما نهيا فيه ولاأمرا

كم قمتُ في مجلسِ الساداتِ أنشدهُ

فلم يكنْ لحسودٍ في علاهُ مرا

عجبتُ من معشرٍ كيفَ ادَّعوا سفهاً

من بعدما سمعوهُ أنهم شعرا

لولا التُّقى قلتُ لا شيءٌ يعادله

أستغفرُ اللّهَ إلاالنملُ والشُّعَرا

أنا الذي سار في الدنيا له مثلٌ

أهديتُ من سفهٍ تمراً إلى هَجَرا

جَرَيْتُ في شأوهِ أبغي اللَّحاقَ به

فما تعلقتُ إلا أن ظفرت بَرَى

والشعرُ صيدٌ فهذا جُلُّ طاقتِه

حرشُ الضِّباب وهذا صائدٌ بقرا

وليس مستنزلُ الأوعال من يَفَعٍ

كمَنْ أتى نَفَقَ اليَربوع فاحتفَرا

وإن من شارفَ التسعينَ في شغلٍ

عن القوافي جديرٌ أن يقولَ هرا

يا دهرُ ويحكَ ما عدا ممَّا بدا

يا دهرُ ويحكَ ما عدا ممَّا بدا

أرسلتُ سهم الحادثاتِ فأقصدا

أغْمدتَ سيفاً مرهَفاً شَفَراتُه

قد كان في ذات الإله مُجرّدا

فافعلْ بجَهدِكَ ما تشاءُ فإنني

بعدَ المعظَّم لا أُبالي بالرَّدى

ما خلتهُ يفنى وأبقى بعدهُ

يا بؤس عيشي ما أمرَّ وأنكدا

لهفي على بدرٍ تغيَّب في ثرى

رمسٍ وبحرٍ في ضريح ألحدا

أبقيتَ لي يا دهرُ بعدَ فراقهِ

كبداً مقرَّحةً وجفناً أرمدا

وجوىً يُؤجّجُ بين أثناءِ الحشا

ناراً تزايدُ بالدموع توقُّدا

لم كانَ خلقٌ بالمكارمِ والتُّقى

يبقى لكان مدى الزمانِ مُخلَّدا

أو كان شقُّ الجيبِ ينقدُ من ردىً

شَقَّتْ عليكَ بنو أبيك الأكبُدا

أو كانَ يغني عنكَ دفعٌ بالقنا الـ

ـخَطيِّ غادَرَتِ الوَشيجَ مُقَصّدا

ولقد تمنَّتْ أنْ تكونَ فوارسٌ

من آل أيوبَ الكرامِ لكَ الفدا

أبكيتَ حتى نَثْرَةً وطِمِرَّةً

وحزنتَ حتى ذابلاً ومهنّدا

كم ليلةٍ قد بتَّ فيها لا ترى

إلاّ ظهورَ الأعوجيّةِ مرقدا

تَحمي حِمى الإسلامِ منتصراً لهُ

بعزائمٍ تستقربُ المستبعدا

ولرُبَّ ملهوفٍ دَعاهُ لحادثٍ

جَلَلٍ فكانَ جوابُه قبلَ الصَّدى

ولطالما شيمتْ بوارقُ كفّهِ

فهمتْ سحائبُها علينا عَسجدا

ما ضلَّ غمرٌ عن محجَّةِ قصدهِ

إلاّ وكان لهُ إليها مُرشِدا

يا مالكاً من بعدِ فقدي وجهَه

جارَ الزمانُ عليَّ بعدكَ واعتدى

أعززْ عليَّ بأنْ يزورَك راثياً

مَن كان زاركَ بالمدائحِ مُنشِدا

كم موردٍ ضنكٍ وردتَ وطعمُه

مرٌّ وقد عافَ الكماةُ الموردا

وعزيزِ قومٍ مترَفٍ سربلتَه

دُلاً وكان الطّاغِيَ المتمرّدا

أركبتَه حلقاتِ أدهمَ قصَّرتْ

منه الخطا من بعدِ أشقرَ أجردا

لولا دفاعُكَ بالصوارمِ والقنا

عن حوزةِ الإسلامِ عادَ كما بدا

وديارُ مصرٍ لو ونتْ عزماتهُ

عن نصرها لتمكنتْ فيها العدا

ولأمستِ البيضُ الحرائرُ أسهماً

فيها سبايا والموالي أعْبُدا

ولأصبحتْ خيلُ الفرنج مُغيرةً

تجتابُ ما بينَ البقيع إلى كدى

وبثغرِ دمياطٍ فكم من بيعةٍ

عبدَ الصليبُ بها وكانَت مسجدا

أنقذتها من خطَّةِ الخسفِ التي

كانت أحلّتها الحضيضَ الأوْهدا

أجليتَ ليلَ الكفرِ عنها فانطوى

وأنرتَ في عرصاتها فجرَ الهدى

ولقدْ شهدتكَ يومَ قيساريَّةٍ

والشمسُ قد نسجَ القتامُ لها ردا

والكفرُ معتصمٌ بسورٍ مشرفِ الـ

أبراجِ أحكم بالصفيحِ وشيِّدا

فجعلتَ عاليها مكانَ أساسِها

وألنتَ للأخشابِ فيها الجامدا

قلْ للأعادي إنْ فقدنا سيّداً

يَحمي الذمارَ فقد رُزقنا سيّدا

الناصرُ الملكُ الذي أضحى برو

ح القدس في كلِّ الأمورِ مؤيَّدا

أعلى الملوكِ محلَّةً وأسدُّهم

رأياً وأشجعُهم وأطولُهم يدا

ماضي العزيمةِ لا يرى في رأيهِ

يومَ الكريهةِ حائراً متردِّدا

يقظٌ يكادُ يريهِ ثاقبُ فكرهِ

في يومهِ ما سوفَ يأتيهِ غدا

لو أنَّ غيرَ الدهرِ كان العادي

لو أنَّ غيرَ الدهرِ كان العادي

لتبادرتْ قومي إلى إنجادي

ولدافعتْ عنكَ المنونَ فوارسٌ

بيضُ الوجوهِ كريمةُ الأجداد

قومٌ بنى شاذي وأيوبٌ لهم

فخراً تليداً فوق مجدٍ عادي

من كلِّ وضّاحٍ إذا شهدَ الوغى

روَّى الأسنةَ من دمِ الأكباد

كسبوا المكارمَ من متونِ صوارمٍ

وجنوا المعالي من صدورِ صعادِ

المبصرونَ إذا السنابكُ أطلعتْ

شمسَ الظهيرةِ في ثيابِ حدادِ

لم تَنْبُ في يومِ الهياج سيوفُهم

عن مضربٍ ونَبَتْ عن الأغماد

قسماً لو أنّ الموتَ يقبلُ فديةً

عزَّتْ لكُنتُ بمُهجتي لك فادي

قد كنتُ أرجو أن أراكَ مُقاسِمي

في خفضِ عيشٍ أو لقاءِ أعادي

وأراكَ في يوميْ وغىً ومسرَّةٍ

قلبَ الخميس وصدرَ أهل النادي

وأراكَ مِن صدإِ الحديد كأنما

نضختْ عليك روادعٌ بالجادي

فجرى القضاءُ بضدّ ما أمّلتهُ

فيهِ وأرهفَ حدَّهُ لعنادي

خانَتْني الأيامُ فيك فقرَّبتْ

يومَ الرَّدى من ليلةِ الميلاد

ورَمتْنيَ الأقدارُ منكَ بلوعةٍ

باتتْ تأجّجُ في صميمِ فؤادي

لهفي عليكَ لو كنَّ لهفاً نافعٌ

أو ناقعٌ حَرَّ الفؤادِ الصادي

ياليتَ أنكَ لي بقيتَ وبيننا

ما كنتُ أشكو من جوىً وبعادِ

قد أسعدتْني بعدَ فقدك أدمعٌ

ذرفٌ وخامَ الصبرُ عن إسعادي

وعدمتُ بعدك لذَّةَ الدنيا فقد

أنسيتها حتى نسيتُ رقادي

أبقيتُ في كبدي حزازةً

تَبْدُو لأهل الحشر يومَ معادي

فسقى ضريحكَ كلَّ دانٍ مسبلٍ

متواصلِ الإبراق والإرعادِ

حتى تُرى عرصاتُ قبركَ روضةً

موشيَّةً كوشائع الأبرادِ

فلقد مضيتَ وما كسبتَ خطيئةً

وتركتَ دارَ بليِّةٍ وفسادِ

وسكنتَ داراً ملكها لك خالدٌ

وتركتَ داراً ملكها لنفادِ

لا يَخدعنَّكَ صِحةٌ ويَسارُ

لا يَخدعنَّكَ صِحةٌ ويَسارُ

ما لا يدومُ عليكَ فهوَ معارُ

يغشى الفتى حُبَّ الحياةِ وزينةَ الـ

ـدنيا وينسى ما إليهِ يصارُ

وإذا البصائرُ عن طرائق رشدها

عميتْ فماذا تنفعُ الأبصارُ

لا تغترر بالدهرِ إنْ وافاكَ

حالٍ يسرُّكَ إنّهُ غرَّارُ

انظرْ إلى من كانَ قبلكَ واعتبرْ

ستصيرُ عن كَثَبٍ إلى ما صاروا

فيزول عنك جميعُ ما أوتيتَ في الـ

ـدنيا ولو زويتْ لكَ الأمصارُ

تزارُ الكرامُ ولا كرزءِ عشيرةٍ

فجمعتْ بمن منهم إليهِ يشارُ

أو أرتجي خِلاً سِواكَ أبثُّه

وسقى ضريحكَ وابلٌ مدرارُ

حتى تُرى جَنَباتُ قبركَ روضةً

مخضرَّةَ ويحفُّهُ النُّوارُ

أبكي عليكَ ولو وفتْ لك أدمعي

لتعجبتْ من مَدّها الأنهارُ

يا بدرُ كنتَ لنا اليمينَ وما عسى

تُغني إذا مَضَتِ اليمينُ يسارُ

يا بدرُ ضاقَ بكَ الضريحُ وطالما

ضاقتْ على عزماتكَ الأقطارُ

أعززْ عليَّ بأنْ يضيقَ بكَ الثرى

ويميلَ عن عرصاتكَ الزوَّارُ

قد كنتَ ذخراً للملوكِ وعمدةً

فبرأيكَ الإيرادُ والإصدارُ

ولكم برأيكَ من ورائكَ قد سرى

نحوَ الأعادي جحفلٌ جرَّارُ

ومن العجائبِ أنَّ بدراً كاملاً

يعتادهُ عندَ التمامِ سرارُ

كان الجوادَ بما حوى وقد استوى

في مالِه الإقلالُ والإكثارُ

صافي أديمِ العرضِ لا يْنأى الندى

عنه ولا يدنو إليه العارُ

من أسرةٍ عربيةٍ جاءتْ بهِ

عربيةٌ آباؤها أحرارُ

لم يُغْذ مِن لبنِ الإماءِ ولم تُحِلْ

أخلاقه عن طبعهِ الأظآرُ

قد كان إنْ خفَّتْ حلومُ ذوي النهى

للهَول فيه رَزانةٌ ووَقارُ

يا بدرُ لو أبصرتُ بعدكَ حالنا

لشجاكَ ما جاءتْ بهِ الأقدارُ

سُرَّتْ أعادينا وأدركَ حاسدٌ

فينا مناهُ وقلَّتِ الأنصارُ

كنا نُخافَ ويرتجي إحسانَنا

أعداؤنا ويعزُّ فينا الجارُ

ما العيشُ بعدكَ بالهنيء ولو صفتْ

فيه الحياةُ ولا الديارُ ديارُ

هيهاتَ أن يلتذَّ جفني بالكَرى

من بعدِ فقدكَ أو يقرَّ قَرارُ

الشكوى وتحفظُ عندهُ الأسرارُ

غدرَ الزمانُ بنا ففرَّقَ بيننا

إنَّ الزمانَ بأهلهِ غدَّارُ

لو أنَّ قلبَ الموتِ رقَّ لهالكٍ

لشجاهُ أطفالٌ وراكَ صغارُ

لم يكفِ صرفَ الدهر دفنُك في الثرى

حتى نأتْ بكَ عن دمشقَ الدارُ

ما أنصفَ الدهرُ المفرّقُ بيننا

أفبعدَ موتٍ نقلةٌ وسفارُ

حنينٌ إلى الأوطان ليس يزولُ

حنينٌ إلى الأوطان ليس يزولُ

وقلبٌ عن الأشواق ليسَ يحولُ

أبيتُ وأسرابِ النجومُ كأنها

قُفولٌ تَهادى إثرَهنَّ قُفولُ

أراقبها في الليلِ من كل مطلعٍ

كأني برعي السائراتِ كفيلُ

فيا لكَ من ليلٍ نأى عن صحبهِ

فليس له فجرٌ إليه يَؤول

أما لعُقودِ النجمِ فيه تصرُّمٌ

أما لخضابِ الليلِ فيه نُصولُ

كأنَّ الثريَّا غرةٌ وهو أدهمٌ

له من وميض الشِّعَريين حُجولُ

ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً

وظِلُّكِ يا مَقْرى عليَّ ظليلُ

وهل أريني بعدما شطتْ النوى

ولي في رُبى روضٍ هناك مَقيلُ

دمشقُ فبي شوقٌ إليها مبرّحٌ

وإنْ لجَّ واشٍ أو ألحَّ عذولُ

ديارٌ بها الحصباءُ درٌ وتُربها

عَبيرٌ وأنفاسُ الشمالِ شَمولُ

تسلسلَ فيها ماؤها وهو مطلقٌ

وصحَّ نسيمُ الرَّوضِ وهو عليلُ

فيا حبذا الروضُ الذي دونَ عزَّتا

سحيراً إذا هبتْ عليهِ قبولُ

ويا حبذا الوادي إذا ما تدَّفقتْ

جداولُ باناسٍ إليه تسيلُ

وفي كبدي من قاسيونَ حزازةٌ

تزولُ رواسيه وليس تزولُ

إذا لاحَ برقٌ من سَنير تدافقتْ

لسحب جفوني في الخدودِ سيولُ

فللهِ أيامي وغصنُ الصِبا بها

وريقٌ وإذوجهُ الزمانِ صقيلُ

هيَ الغرضُ الأقصى وإنْ لم يكنْ بها

صديقٌ ولم يُصفِ الوداد خليلُ

وكم قائلٍ في الأرضِ للحرِّ مذهبٌ

إذا جارَ دهرٌ واستحالَ مَلولُ

وما نافعي أنَّ المياهَ سوائحٌ

عِذابٌ ولم يُنقعْ بهن غَليلُ

فقَدتُ الصبِا والأهلَ والدارَ والهوى

فللهِ صبري إنّهُ لجميلُ

ووالله ِما فارقتُها عن مَلالةٍ

سِواي عن العهدِ القديمِ يَحولُ

ولكن أبتْ أن تحملَ الضيمَ همتي

ونفسٌ لها فوق السِماك حُلولُ

فإنَّ الفتى يلقى المنايا مكرَّماً

ويكرهُ طولَ العمر وهو ذليلُ

تعافُ الورودَ الحائماتُ مع القذى

وللقيظِ في أكبادهنَّ صليلُ

كذلكَ ألقى ابنُ الأشجِّ بنفسهِ

ولم يرضَ عمراً في الإسار يطولُ

سألثمُ إن وافيتُها ذلك الثرى

وهيهاتَ حالتْ دونَ ذاكَ حؤولُ

وملتطمُ الأمواج جونُ كأنّهُ

دُجى الليلِ نائي الشاطئَين مَهولُ

يعاندني صرفُ الزمانِ كأنّما

عليَّ لأحداثِ الزمانِ ذحولُ

على أنني والحمدُ لله لم أزلْ

أصولُ على أحداثه وأطولُ

أيعثُر بي دهري على ما يسوءُني

ولي في ذرا الملك العزيز مَقيلُ

وكيف أخافُ الفقر أو أُحرمُ الغنى

ورأيُ ظهيرِ الدين فيَّ جميلُ

من القومِ أمَّا أحنفٌ فمسقَّهٌ

لديهم وأمَّا حاتمٌ فبخيلُ

فتى المجدِ أما جارُه فممنَّعٌ

عزيزٌ وأمَّا ضدُّهُ فذليلُ

وأمَّا عطايا كفهِ فسوابغٌ

عِذابٌ وأمَّا ظِلُّهُ فظليلُ

أهاجكَ شوقٌ أم سَنا بارقٍ نجدي

أهاجكَ شوقٌ أم سَنا بارقٍ نجدي

يُضيءُ سَناهُ ما تُجِنُّ من الوجدِ

تعرَّصَ وهناً والنجومُ كأنها

مصابيحُ رهبانٍ تُشَبُّ على بُعدِ

حننتُ إليهِ بعدما نامَ صحبتي

حنينَ العشار الحائماتِ إلى الوردِ

يُذكرني عصراً تقضَّى على الحِمى

وأيامَنا في أيمن العَلَمِ الفردِ

وإذا أمُّ عمروٍ كالغزالةِ ترتعي

بواي الخزامى روضَ ذاتِ ثرىً جعدِ

غُلاميَّةُ التخطيط ريميَّة الطُّلى

كثيبيّةُ الأردافِ خوطيَّةُ القدِّ

حفظتْ لها العهدَ الذي ما أضاعهُ

صدودٌ ولا ألوى بهِ قدمُ العهدِ

ألا يانسيمَ الريح من تلِ راهطٍ

وروضِ الحمى كيفَ اهتديتِ إلى الهندِ

تسديتنا والبحرُ دونكَ معرض

وبيدٌ تَحاماها جَوازي المها الرُبدِ

فأصبحَ طِيبُ الهندِ يخفى مكانُه

حياءً ولا يبدو شذا العنبرِ الوردِ

أأهلُ الحمى خصوكَ منهم بنفحةٍ

فأصبحتَ معتلَّ الصَّبا عطرَ البُردِ

لئنْ جمعتْ بيني وبينهمُ النوى

فأيُّ يدٍ مشكورةٍ للنوى عندي

فما زالتِ الأيامُ تمهي شفارها

وتشحذُ حتى استأصلتْ كلَّ ما عندي

فأقبلتُ أجتابُ البلادَ كأنني

قذىً حالَ دونَ النومِ في أعينٍ رمدِ

فلم يبقَ حزنٌ ما توقلّتُ متنهُ

وَلَمْ يبقَ سهلٌ ما جررتُ به بُردي

أكدّ ويكدي الدهرُ في كلّ مطلبٍ

فيا بؤسَ حظّي كم أكدّ وكم يكدي

طريدُ زمانٍ لم يجدْ لصروفهِ

بغيرِ ذرا البابِ العزيزيّ من وردِ

فلما استقرتْ في ذراهُ بي النَوى

وألقتْ عصاها بين مزدِحمَ الوفدِ

تنصلَ دهري واستراحتْ من الوجى

كم أوَرّي عن لوعتي وأواري

كم أُوَرّي عن لوعتي وأُواري

ما أجَنَّتْ أضالعي مِن أُواري

وارى صاحبي سلواً وفي القلـ

ـبِ زنادٌ من قادح الشوق واري

جلداً أظهرُ السرورَ وإنْ أضـ

ـمرتُ حزناً بين الحَشا متواري

فسقى اللّهُ بين آبل والمر

جِ ثقالاً من الغوادي السواري

كلَّ وطفاءَ تحسبُ الرعدَ فيها

بعدَ وهنٍ تَجاوبَ الأطيار

ورُبا عَزَّتًا وقد جادَها الثلـ

ـجُ ولاحتْ من سائر الأقطار

كعروسٍ من آل ساسانَ تُجلى

في دبيقي حُلَّةٍ وإزار

وزماناً مضى على آبل السو

ق وليلُ الشبابِ وحفٌ خداري

ومسرَّاتُنا طِوالٌ عِراضٌ

والليالي قصيرةُ الأعمار

أجتلي بنتَ كرمةٍ خزنتها الـ

ـرومُ دهراً ما بين طينٍ وقار

صَيْدَنائيَّةُ المناسب لكنَّ

أباها إذا اعتزى كانَ قاري

من يدري كل مترفـِ ساحر الطَّر

فـِ جميل الأوصافـِ كالدينار

بجبينٍ مثل الصباح منيرٍ

تحتَ ليلٍ تضلُّ فيه المَداري

ما رأى الناسُ قبلهُ بدرَ ليلٍ

طافَ في مجلسٍ بشمس نهار

في رياضٍ مثل السماءِ اخضراراً

زينتها أزاهرٌ كالدّاري

أحكمَ الصنعَ شهرَكانونَ فيها

فشذاها يُثني على آذار

مثلُ رزقي يدرُّ لي بخراسا

ن ومدحي في أهل جَيرون جاري

أتمناهُم وهيهاتَ أقصى الـ

ـدهرُ عنهم داري وشطَّ مزاري

غيرَ أني أطوفُ في طلب الرز

ق كأني كلّفتُ مسحَ البراري

ومحالٌ قولي لنفسي عزاءً

سرعةُ السيرِ عادةُ الأقمار

لو يخَلَّى القَطا لنامَ ولو خُلـ

يتُ لم أرم عن وجاري وَجاري

ولو أني خيّرتُ في هذه الدنـ

ـيا لما اخترتُ غيرَ قومي وداري

فأيادي مبارز الدين أدنى

لثَرائِي وعزمُه لانتصاري

أدْركَتني نُعماه في آخر الهنـ

ـد فما ظنكم بهِ وهو جاري

أمَّنتني يمناهُ من جور أيا

مي وجادت يَساره بيَساري

مَهَّدَ الشامَ عدلُه فالطلا الأخـ

ـرقُ يرعى مع الذئابِ الضواري

دامَ تُخطيه حادثاتُ المنايا

نافذاً حكمهُ على الأقدار

رعى اللّهُ قوماً في دمشقَ أعزةً

رعى اللّهُ قوماً في دمشقَ أعزةً

عليَّ وإن لم يحفظوا عهدَ مَن ظعنْ

أحبةَ قلبي في الدُّنوّ وفي النوى

وأقصى أماني النفس في السرّ والعلنْ

أناساً أعدُ الغدرَ منهم بذمتي

وفاءً وألقى كلَّ ما ساءَني حسنْ

وكم فوّقوا نحوي سهاماً على النوى

فأصْمتْ فؤادي واعتددتُ بها مِننْ

وقد وعدتني النفسُ عنهم بسلوةٍ

ولكن إذا ما قمتُ في الحشر بالكفنْ

يُذكرُني البرقُ الشآميُّ إنْ خَفا

زماني بكم يا حبذا ذلكَ الزمنْ

ويا حبذا الهضبُ الذي دونَ عزّتا

إذا ما بدا والثلجُ قد عمَّمَ القننْ

أأحبابَنا لا أسألُ الطيفَ زَورةً

وهيهاتَ أين الديلمياتُ من عَدَنْ

وهبكم سمحتم والظنونُ كواذبٌ

بطيفكمُ أينَ الجفونُ من الوسنْ

وكم قيلَ لي في ساحةِ الأرض مذهبٌ

وعن وطنٍ للنفس ميلٌ إلى الوطنْ

وهل نافعي أنَّ البلادَ كثيرةٌ

أطوفُ بها والقلبُ بالشام مرتهنْ

وما كنتُ بالراضي بصنعاءَ منزلاً

ولوْ نلتُ من غُمدانَ ملكَ ابن ذي يزَنْ

عسى عطفةٌ بدريةٌ تعكسُ النَوى

فألفى قريرَ العين بالأهل والوطنْ

لولا ادّكارُكَ تلَّ راهط والحِمى

لولا ادّكارُكَ تلَّ راهط والحِمى

ما سحَّ جفنكَ بالدموع ولا همى

أنَّى اتجهتَ رأيتَ روضاً محدقاً

بشَفا غديرٍ كالمجرةِ والسَما

ياأهلَ ودي بالشآمِ تحيةً

من نازحٍ لم يَبق فيه سوى دَمَا

وإذا سقى اللهُ البلادَ فلا سقى

بلدَ الهنودِ سوى الصواعقِ والدِما

قد غيِّرتْ غيرُ الليالي كلَّ حا

لاتي؛وشوقي والغرامُ هُما هُما

وشَكِيَّتي بُعدُ النجيبِ فإنه

قد كان لي من جَور أيامي حِمى

عهدي بأنيابِ النوائبِ عنده

دُرْداً وظفرِ الحادثاتِ مُقَلَّما

كم مدَّ صرفَ الدهرِ نحوي فما

لظلامةٍ فثناه عني أجذما

ورنا إليَّ بعينهِ شزراً فما

أغضى بها وإثمدها العمى

ولطالما شِمتُ السَحابَ وكفَّهُ

فتدافقا فجهلتُ أيُّهما السما

لِطيفكمُ عندي يدٌ لا أضيعها

لِطيفكمُ عندي يدٌ لا أضيعها

سَأشكُرُهَا شُكْرَ الرياضِ يدَ القَطرِ

تَجَشَّمَ أهوالَ السُّرى لا يَصدهُ

مَهيبٌ ولا يرتاعُ من موحشٍ قفر

بارضٍ يحلو الركبُ في فلواتها

على أنَّ هادي القومِ فيها القطا الكدري

رعى اللّهُ أياماً تقضَّتْ بقربكم

وعصرَ الصِبى يا حبذا ذاك من عصرِ

فسائرُ أيامي لديكم مواسمٌ

وكلُّ الليالي عندكم عندكم ليلةُ القدرِ

ذراها إذا رامتْ معاجاً إلى الحمى

ذراها إذا رامتْ معاجاً إلى الحمى

فقد هاجَ منها البرقُ داءً مكتَّما

أضاءَ لنا من جانب الغورِ لامعٌ

يلوحُ بوادٍ بالدُجُنَّةِ قد طما

زماناً مضى رغداً وعصراً تصرَّما

وأيامَ دَوح الغوطتين وظلَّها الـ

ظليلَ إذا صامَ الهجيرُ وصمَّما

وروضاً إذا ما الريحُ فيه تنسَّمت

سحيراً تخالُ المندلَ الرطبَ أضرما

سقى اللّهُ ذاك الروضَ عني مدلّحاً

من السحبِ موشيَّ الجوانبِ أسحما

فكم قد قصرتُ الليلَ فيه بزائرٍ

تَجشَّم أهوالَ السُرى وتهجَّما

يخالسُ عينَ الكاشحينَ ومن يخفْ

عيونَ الكرى يركبْ من الليلِ أدهما

وكأسٍ حَباها بالحَبابِ مزاجُها

فألقى عليها المزجُ عِقداً منظَّما

كُمَيتٍ إذا ما نلتُ منها ثلاثةً

رأيتُ السما كالأرض والأرضَ كالسما

وغشّى على عينيَّ منها غشاوة

فلا أنظرُ الأشياءَ إلا توهُّما

وأهيفَ عسال القوام كأنهُ

قضيبٌ على دِعصٍ من الرمل قد نما

تحمَّل في أعلاهُ شمساً أظلَّها

بليلٍ وأبدى من ثناياهُ أنجما

وما كانَ يدري ما الصدودُ وإنما

تصدَّى له الواشونَ حتى تعلّما

فأصبحَ غيري يجتني شهدَ ريقهِ

شهيّاً وأجني من ثَجنّيهِ عَلقما

وخافَ على الوردِ الذي غرسَ الحَيا

بوجنتهِ من أنْ يُنالَ ويُلثما

فسلَّ عليه مرهَفاً من جفونهِ

وأرسلَ فيه من عذاريهِ أرقما

أُعظّمه مما أرى من جماله

كما عظّم القِسيسُ عيسى بنَ مريما

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى منىً

ومَن فرضَ السبعَ الجِمار ومَن رمى

لما أرَجاتُ الروض جاءَت بها الصَبا

سُحَيراً ولا الماءُ الزلالُ على الظّما

ولا فرحةُ الإثراءِ من بعدِ فاقةٍ

على قلب مَن ما نالَ في الدهرِ مغنما

بأحسنَ وجهاً من حبيبي مقطّباً

فكيفَ إذا عاينتَه متبسما

ألا خَبّروني عن حِمى تلِ راهطٍ

ألا خَبّروني عن حِمى تلِ راهطٍ

يلذُّ به سمعي وإنْ فاتني النظرْ

وقُصَّا أحاديثَ المُصلّى وأهلهِ

عليَّ فمالي في سوى ذاكَ مِن وطرْ

لقد طالَ عهدي بالمصلّى فليتني

رأيتُ المصلّى أو سمعتُ له خبرْ

وما حائماتٌ تمَّ في الصيف ظمؤها

وما حائماتٌ تمَّ في الصيف ظمؤها

فجاءتْ وللرمضاءِ غليُ المراجلِ

فلما رأينَ الماءَ عذباً وأقبلتْ

عليهِ رأينَ الموتَ دونَ المناهلِ

فعادتْ ولم تنقعْ غليلاً وقد طوتْ

حَشاها على سم الأفاعي القواتلِ

بأكثرَ من شوقي إليكَ ولوعتي

عليكَ وإنْ لم أحظَ منك بطائلِ

أأنْ حنَّ مشتاقٌ ففاضتْ دموعهُ

أأنْ حنَّ مشتاقٌ ففاضتْ دموعهُ

غدتْ عُدَّلٌ شتَّى حواليهِ تعكفُ

وما زالَ في الناسِ المودَّةُ والوفا

فمالي على حِفظِ العهود أُعَنَّفُ

نعمْ إنني صبٌّ متى لاحَ بارقٌ

من الغربِ لا تَنفكُّ عينيَ تَذرِفُ

وما قيلَ قد وافى من الشامِ مخبرٌ

عن القومِ إلا أقبلَ القلبُ يرجفُ

وأعرضُ عن تسآلهِ عنكَ خيفةً

إذا خفَّ كلٌّ نحوَهُ يتعرَّفُ

فكيفَ احتيالي بالليالي وصَرفُها

بضد مرادي دائماً يتصرَّفُ

أحاولُ أنْ أمشي إلى الغربِ راجلاً

وأحداثها بي في فم الشرق تقذفُ

يا سيدي وأخي لقد أذكرتني

يا سيدي وأخي لقد أذكرتني

عهدَ الصبى ووعظتني ونصحتَ لي

أذكرتني وادي دمشقَ وظلَّه الـ

ـضافي على صافِي البَرودِ السَلسَل

ووصفتَ لي زمنَ الربيع وقد بدا

هرمِ الزمان إلى شبابٍ مقبل

وتجاوبَ الأطيارِ فيه فمطربٌ

يلهي الشجيَّ ونائحٌ يشجي الخلي

يُغني النديمَ عن القِيانِ غناؤها

فالعندليبُ بها رسيلُ البلبلِ

فكأنها أخذتْ عن ابنِ مقلّدٍ

قول المسرّج في الثقيلِ الأولِ

ومدامةً من صيدنايا نَشْرُها

من عنبرٍ وقميصها من صَندَلِ

مسكيةُ النفحاتِ يشرفُ أصلها

عن بابلٍ ويجلُّ عن قُطْرَبُّلِ

وتقولُ أهلُ دمشقُ أكرمُ معشرٍ

وأجلُّهم ودمشقُ أفضلُ منزلِ

وصدقتَ إنَّ دمشقَ جنةُ هذه الـ

ـدنيا ولكنَّ الجحيمَ ألدُّ لي

لا الحاكمُ المصريُّ ينفذُ حكمُه

فيها عليَّ ولا العواني الموصلي

هيهاتَ أن آوي دمشقَ وملكُها

يعزى إلى غير المليكِ الأفضلِ

ومن العجائِب أنْ يقومَ بها أبو

بكرٍ وقد علمَ الوصيةَ في علي

مهلاً أبا حسنٍ فتلك سحابةٌ

صيفيةٌ عمَّا قليلٍ تنجلي

سامحتُ كتبكَ في القطيعةِ عالماً

سامحتُ كتبكَ في القطيعةِ عالماً

أنَّ الصحيفةَ أعوزتْ من حامل

وعذرتُ طيفكَ في الجفاءِ لأنّهُ

يسري فيصبحُ دوننا بمراحل

يا برقُ حيّ إذا مررتَ بعزتّا

يا برقُ حيّ إذا مررتَ بعزتّا

أهلي وإنْ زادوا جفاً وتَعَنُّتا

أبلغهمُ عني السلامَ وقلْ لهم

أحبابَنا هذا الصدودُ إلى متى

طالَ انتظاري للتلاقي فاجعلوا

لصدودكم أجلاً يكونُ موقَّتا

كم أحملُ الشوقَ المبرّحَ والأسى

لو كانَ قلبي صخرةً لتفتتا

ياسادةً فارقتُ يومَ فراقهم

عقلي وطلقتُ السرور مُبَتّتا

حرَّمتُ بعدكُم وذاك يحقُّ لي

لبسَ الجبابِ وتبتُ عن ذكر الشِتا

أحبابَنا بدمشقَ دعوةَ نازح

لعبتْ به أيدي النوى فتشتَّتا

أشكو إليكم فرطَ وجدٍ لم يزلْ

حيّاً يلازمني وصبراً ميّتا

عجباً لروحي يومَ جدَّ فراقُكم

إذ لم تفظْ والقلبِ كيف تثبّتا

ألا ليتَ شعري هل تبيتُ مغدَّةً

ألا ليتَ شعري هل تبيتُ مغدَّةً

ركابيَ ما بين النعائمِ والنسر

تجاذبُ ما بينَ المناظرِ ناظراً

مريعاً وتتلو مغربَ الطائرِ النسر

ولازمَها سعدُ السعودِ وصحبُه

إلى أن تلاقى الضبُّ والنونُ في وَكر

وأهدى لها الوسميُّ سبعاً وسبعةً

طلوع الزبانى قبل ذاكَ مع الفجر

فما بسطت كفُّ الخضيبِ بنانَها

على الأرض إلا وهي مَوشِيَّةُ الأزر

فلا حبراتُ العصبِ من نْسِج حمْيَرٍ

حكمتها ولا ما وشَّعَ القبطُ في مصر

أبعدَ مُقامي في دباوند أبتغي

أبعدَ مُقامي في دباوند أبتغي

دمشقَ لقد حاولتُ عنقاءَ مُغْربِ

وما قبضتْ كفُّ الخضيبِ على يدي

ولا حطَّ فوق الطائر النسر مركبي

فيا حبذا قومٌ هناك وحبذا

من الأرض غربيُّ الحدالى وغرَّبِ

لئن أشرفتْ بي في الشآمِ ثنيةٌ

أرى كوكباً مِن فوقِها مثلَ كوكبِ

ولاحَ سَنيرٌ عن يميني كأنَّهُ

سنامٌ رعيبٌ فوقَ غاربِ مصعبِ

ولاحتْ جبالُ الثلجِ زهراً كأنها

ضياءُ صباحٍ أو مَفارِقُ أشيبِ

وشامتْ قلوصي من حمى تل راهطٍ

رياضاً حكتْ وشيَ اليماني المعصّبِ

وسرَّحْتُها في ظل أحوى تدفَّقتْ

بأرجائه الأمواهُ من كلّ مشربِ

إذا ضاعَ ريَّاهُ أذاعتْ طيورهُ الـ

ـحديثَ فتغني عن قِيانٍ ومشحبِ

لعزَّةَ دفرٌ حينَ توقدُ نارها

لديه ومتفالٌ به أم جندبِ

غفرتُ لدهري ما جنى من ذنوبهِ

وأصبحتُ راضي القلبِ عن كل مذنبِ

أحنُّ إلى قومٍ هناك أعزَّةٍ

عليَّ وقومٍ في عِراص المقطَّبِ

أأرجو وقد حاولتُ في الهند عودةً

إليهم لقد حاولتُ أطماعَ أشْعَبِ

دَعَتْ في أعالي الصُعْدِ يوماً حمامةٌ

دَعَتْ في أعالي الصُعْدِ يوماً حمامةٌ

على فننٍ في ظلِّ ريَّانَ كاليمِّ

فهاجتْ مشوقاً واستفزّتْ متيَّماً

وأبكتْ غريباً واستخفتْ أخا حلم

تحيةُ مشتاقٍ بعيدٍ مزارُهُ

تحيةُ مشتاقٍ بعيدٍ مزارُهُ

أبى شوقُه أنْ يستقرَّ قرارُهُ

إذا نفحةٌ مرَّتْ بهِ قاهريَّةٌ

ذكتْ في الحشا بينَ الجوانحِ نارهُ

وما شامَ من أعلا المقطَّم جفنُه

سنا بارقٍ إلا توالت قطارهُ

حديثُ صقال الخدِّ لم يذو وردهُ

ولا دبَّ كالريحان فيهِ عذارهُ

إذا زادَهُ جَنياً وشماً متيَّمٌ

ذكا وردُ خديه وزادَ احمرارهُ

ضَمانٌ على عينيه إنْ طاشَ سهمهُ

إذا ما رمى أن لا يَطيشَ احورارُهُ

خليليَّ لا واللّهِ ما القومُ قومُهُ

إذا غابَ من يهوى ولا الدارُ دارهُ

فإنْ أنتما لم تُسعداني على الهوى

ذراني وشوقي عزّهُ لي وعارهُ

أحِنُّ إلى مصرٍ وياليتَ أنَّ لي

ذكرتْ مصرٌ جناحاً أعارهُ

فآوي إلى ظلٍ ظليلٍ ونائلٍ

جزيلٍ وملكٍ حالفَ العزَّ جارهُ

انظرْ إليَّ بعينِ مولىً لم يزلْ

انظرْ إليَّ بعينِ مولىً لم يزلْ

يولي النَّدى وتلافَ قبلَ تلافي

أنا كالذي أحتاجُ ما يحتاجُه

فاغنمْ ثوابي والثناءَ الوافي

كأني من أخبارِ إنَّ ولم يجزْ

كأني من أخبارِ إنَّ ولم يجزْ

له أحدٌ في النحوِ أنْ يتقدَّما

عسى حرفُ جرٍ مِن نداكَ يجرُّني

إليكَ فأضحي مِن زماني مُسَلَّما

ياأيها الملكُ المعظّمُ سنةً

ياأيها الملكُ المعظّمُ سنةً

أحدثتها تبقى على الآبادِ

تجري الملوكُ على طريقكَ بعدها

خلعُ الولاةِ وتحفةُ الزهادِ

إذا لقيتَ الأعادي يومَ معركةٍ

إذا لقيتَ الأعادي يومَ معركةٍ

فإنَّ جمعهمُ المغرورَ مُنتَهب

لك النفوسُ وللطيرِ اللحومُ ولل

ـوحشِ العظامُ وللخَيَّالةِ السَلَبُ

أقِلّنيْ عِثاري واحتسبْها صنيعةً

أقِلّنيْ عِثاري واحتسبْها صنيعةً

يكونُ برحماها لكَ اللهُ جازيا

كفى حزناً أن لستَ ترضى ولا أرى

فتىً راضياً عني ولا واللهَ راضيا

ولستُ أرجّي بعدَ سبعينَ حجةً

حياةً وقد لاقيتُ فيها الدواهيا

ولا بُدَّ أن ألقى الرَدَى من مصمّمٍ

فكم يتوقى من تخطّى الأفاعيا

هجوتُ الأكابرَ في جِلَّق

هجوتُ الأكابرَ في جِلَّقٍ

ورعتُ الوضيعَ بهجوِ الرفع

وأخرجتُ منها ولكنني

رجعتُ على رغمِ أنفِ الجميع

يا ابن الكرامِ المطعمينَ إذا شتوا

يا ابن الكرامِ المطعمينَ إذا شتوا

في كل مخمصةٍ وثلجٍ خاشفِ

العاصمينَ إذا النفوسُ تطايرتْ

بينَ الصوارمِ والوشيجِ الراعفِ

مَن نبَّأ الورقاءَ أنَّ محلكم

حرمٌ وأنكَ ملجأٌ للخائفِ

وفدتْ عليكَ وقد تدانى حتفُها

فحيوتها ببقائها المستأنفِ

ولو انها تحبى بمالٍ لانثنتْ

من راحتيكَ بنائلٍ متضاعفِ

جاءتْ سليمانَ الزمان بشكوها

والموتُ يلمعُ من جناحي خاطفِ

قرمٌ لواهُ القوتُ حتى ظِلُّه

بإزائهِ يجري بقلب واجفِ

مرسى السّيادةِ سدَّةٌ سيفيةٌ

مرسى السّيادةِ سدَّةٌ سيفيةٌ

محروسةٌ مسعودةُ التأسيسِ

سيفٌ يسركَ سلُّهُ وسؤالهُ

لمساءةٍ يوسي وسلبِ نفوسِ

سَبقَ السَّراةَ بسيرةٍ وسريرةٍ

محسودتينِ وسارَ سيرَ رئيسِ

حَسُنتْ سريرتُه وقُدّسَ سِنخُه

وسما بأسلافِ سراةٍ شوسِ

أسلافِ سِاداتٍ سَما بجلوسهم

رأسُ السريرِ ومسندُ التدريسِ

واوسادوا واستَجدُّوا للسَخا الـ

ـمنسوخ طاسمَ رسمه المدروسِ

سنُّوا السماحَ فأسرفت سؤّالهم

فإساءةٌ إحسانُهم بالعِيسِ

ويَسُرُّ ساريَة السَحابِ قياسُها

بسماحهِ وبسيبهِ المبجوسِ

والسُحبُ ممْسكةٌ فلستُ أقِيُسها

بسيولِ سيبٍ للسحابِ خبوسِ

فمسرَّةٌ للمسنتينِ مساءةٌ

سبقتْ لسرحِ سوامهِ والكيسِ

آنستُ من أستارِ سدَّتهِ سنا

قبسٍ فسقتُ نفيسةً لنفيسِ

وسَقيتُها سَلْسالَ سحرٍ مُسكرٍ

للسامعينَ وسقتها كعروسِ

فاستحلِها واستجلِها حسناءَ ألـ

ـبَسها سَنا اسمِكَ أحسنَ الملبوسِ

حَيَّا محلَّ الحاجبيةِ بالحِمى

حَيَّا محلَّ الحاجبيةِ بالحِمى

والسفحَ سفحُ مُدَلّجٍ سَحَّاحِ

حتى تصاحبَ حسلهِ حيَّاتهُ

ويضاحكَ الحوذانُ حسنَ أقاحِ

سحبٌ يوشِّحها لموحٌ ملقحٌ

ويحفُّ حافلها حفيفَ رياحِ

حَمَّالةٌ حَنَّانةٌ فحنينُها

والريحُ تحفِزُها حنينُ رزاحِ

تحيي المصوّحُ والمحيلَ فسحُّها

كحيا أبي الفتح السَحُوحِ الساحي

المحتوي بسماحهِ وحُسامِه

مدحَ الفصيحِ وحُلَّة الجَحْجاحِ

الأريحِيُّ السَمحُ والرحبُ الحِبا

أضحى حِماهُ محطةَ المجتاحِ

ومحالفُ الإحسانِ يمحو حلمهُ

أحقادهُ والحلمُ أحسنُ ماحِ

ومسامحٌ حلوُ الحديثِ محبَّبٌ

فضحَ الصَباحَ بحسنهِ الوضَّاحِ

فحديثُه السحرُ الحلالُ ومدحهُ

محضُ الصحيحِ وحَلَّة المُدَّاحِ

مُتَحرّجٌ حامي الحقيقةِ حافظٌ

حُشِيتْ حَشا حُسادِهِ بجِراحِ

ومحافظٌ حسنُ الحديثِ منجَّحٌ

خيثُ انتحى نحو الحيا الفيَّاح

مُتَوضّحٌ حيثُ الحتوف كوالحٌ

محشودةٌ بصفائح ورماح

فلأحسمنَّ الحاسدينَ بمدحةٍ

لممدَّحٍ نحو الحِبا مُرتاح

متحمّلٍ حيفَ الحميمِ لحاجةٍ

فدحتْ وحتفٍ للحسودِ متاح

يا سيداً عِرضُه عارٍ من العار

يا سيداً عِرضُه عارٍ من العار

وجنودهُ في البرايا سائرٌ ساري

قد كان لي من بناتِ الزنج جاريةٌ

صبورةٌ عند إعساري وإيساري

لها من الروم أولادٌ كأنهمُ

قِداحُ نَبْعٍ أُجيلتْ بين أيْسار

تَضمهم في حشاها طولَ ليلتِها

وأكثرَ اليوم إشفاقاً من الباري

وكنتُ أجررُتهم عنها فما امتنعوا

عن حجمِ أخلاقها يوماً بإجرار

وقد شقيتُ فخلّصني بضرَّتها الـ

ـبيضاءِ وأختِها السوداء من قار

يا ابن الكرام الأوليـ

يا ابن الكرام الأوليـ

ـنَ السابقينَ إلى المكارمْ

الأولينَ إلى الوغى

والآخرينَ إلى الغنائمْ

انظرْ إلى زهرِ الربيـ

ـعِ كأنهُ زهرُ النعائمْ

والروضِ قد رقمتْ وشا

ئعَ بردهِ كفُّ الغمائمْ

وبدا الهلالُ كزروقٍ

من فضةٍ في البحرِ عائمْ

فانهضْ إلى شربِ المدا

مِ ولا تطعْ في الراحِ لائمِ

فنديمُنا ثَمِلُ القَوا

مِ أغنُّ ساجي الطوفِ ناعمْ

ما شدَّ بندَ قَبائِه

إلا وحلَّ به العزائمْ

يا سيداً لا يُماري في فواضِله

يا سيداً لا يُماري في فواضِله

خَلْقٌ ولم يُرَ منها غيرَ مُمتارِ

يا باذلَ المالِ والأنواءُ مخلِفةٌ

ومانعَ القدرِ الجاري من الجارِ

مالي ظمئتُ إلى الصهباءِ في عَدَنِ

وجودُ كفّكَ فيها سائرٌ ساري

فانقعْ أُواري بها صهباءَ صافيةً

صِرفاً لها قَبسٌ من دَنّها وارِ

كأنما نشرُها المِسْكُ الفتيقُ إذا

ما فاحَ أو عرضُكَ العاري من العارِ

أعيتْ صفاتُ نداكَ الصقعَ اللسنا

أعيتْ صفاتُ نداكَ الصقعَ اللسنا

وجزتَ في الفضل حدَّ الحسن والحسنا

ولا تقلْ ساحلُ الافرنج أملكه

فما يساوي إذا قايستَهُ عدَنا

وما تريدُ بجسمٍ لا حياةَ له

من خلص الزبدَ ما أبقى لك اللبنا

وإنْ أردتَ جهاداً روّ سيفكَ من

قومٍ أضاعوا فروضَ الله والسننا

طهّر بسيفكَ بيتَ اللهِ من دنسٍ

وما أحاطَ به من خسَّةٍ وخنا

ولا تقلْ إنهم مِن آلِ فاطمةٍ

لو أدركوا آل حربٍ قاتلوا الحسنا

يا ملكَ الدنيا الذي سخطه

يا ملكَ الدنيا الذي سخطه

يفني وجدوى كفّهُ تغني

لي أعبدٌ قد ضاقَ ذرعي بهم

وأضجرتهم عِلّتي مني

يَشكونَ مني مثلَ ما أشتكي

نهم فخلّصهم وخلّصني

أبثُّكَ يا صفيَّ الدين حالي

أبثُّكَ يا صفيَّ الدين حالي

ولا يُشكى إلى غير الكرام

أيقتلني ظمايَ وأنتَ جاري

وكيفَ يبيتُ جارُ البحر ظامي

إنَّ القدودَ على تأوُّدِها

إنَّ القدودَ على تأوُّدِها

فتكتْ بكل مقوَّمٍ لدن

وأرى لحاظَ التركِ ما تركتْ

قدراً لهنديٍّ ولا يمني

يا مانعاً من فقرِ عاشقِه

زكواتِ حسنٍ أنتَ عنه غني

أتبعْ جمالكَ بالجميل لنا

ما أليقَ الإحسانَ بالحسن

الصدُّ منكَ سجيَّةٌ عُرفتْ

مثلَ السماحةِ في بني يمن

قومٌ يبيتُ المالُ عندهُم

في غُربةٍ والمجدُ في وطن

أفديكَ من مولىً تملك خِلَّتي

أفديكَ من مولىً تملك خِلَّتي

بخلائقٍ غُرٍّ فأسجحَ إذْ ملكْ

لولا الذي يبدو لنا من هيئةٍ

وخلائقٍ بشريةٍ قلنا ملكْ

ما أخْفَقَ المُزجي إليكَ ركابَهُ

حتى يراكَ ولم يخبْ من أمَّلكْ

ما تحتويهِ يداكَ من مالٍ لنا

وجميعُ ما نأتيهِ من مدحٍ فلكْ

ترتاحُ للراجي إلى أقصى المدى

كرماً فيصغرُ عندهُ ما يمتلكْ

وكأنّها لم ترضَ ما في الأرض منْ

عرضٍ لراجيها فجاءتْ بالفلكْ

لك في المعالي منزلٌ أعيا الورى

لا سُوقةٌ يرقي إليه ولا ملكْ

ولي حاجةٌ في جنبِ جودكَ سهلةٌ

ولي حاجةٌ في جنبِ جودكَ سهلةٌ

ولكنها عندي تجلُّ وتعظمُ

فإن تولنيها أحتسبها صنيعةً

أقومُ لها بالشكرِ ما قام موسمُ

يا موردَ الرمح ظمآناً ومصدرهُ

يا موردَ الرمح ظمآناً ومصدرهُ

يومَ الكريهةِ ريّاناً من العلق

قد عيَّد الناسُ في نعماكَ في جددٍ

لكنني بينهم عيَّدتُ في خَلَق

جاءَ الشتاءُ وليس عندي فروةٌ

جاءَ الشتاءُ وليس عندي فروةٌ

والقُرُّ خصمٌ لا يُرَدُّ ويُدفعُ

وإذا الشتاءُ أتى وما ليَ فروةٌ

ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

فوحق مجدك وهو جهد أليَّتي

ونداك وهو لكل خطب مدفعُ

إني أبيتُ على الطوى خاوي الحَشا

سَغَباً وأحناءُ الضُلوع تَقَعْقَعُ

ورأت طبيعتك الكريمة نقضَ ما

ورأت طبيعتك الكريمة نقضَ ما

عوَّدتها من شيمةِ الإسرافـِ

فكأنّما أنفتْ لذاكَ فعوّضتْ

عن بَزْلِ قِيفَالٍ ببزل رُعافـِ

لو كنتَ لشمس الملكِ ما خطرتْ

لو كنتَ لشمس الملكِ ما خطرتْ

مَساءَتي لصروفِ الدهرِ في خَلَدِ

وكانَ أرفعَ من كيووانَ منزلةٍ

قدري وأمنعَ من عرّيسةِ الأسدِ

لكنني بين قومٍ ما رعَوا ذِمَمي

فيهم ولا أخذوا من عَثْرةِ بيدي

الحابسينَ أوانَ الخصبِ كلبهمُ

والموقدي النارِ بين السجفِ النَضَدِ

قد زارني من بني الأتراكِ مختفياً

قد زارني من بني الأتراكِ مختفياً

ظبيٌ على غيرِ ميعادٍ له سلفاً

يهزُّ من قده رمحاً على نقويْ

رملٍ ينوءُ بهِ ثقلاً إذا انعطفا

سقتْ عوارضهُ جفناهُ سارية ً

فأنبتتْ عارضاهُ روضة ً أُنُفا

كأنهُ دُرَّةُ الغوَّاص كادَ يرى

من قبل رؤيتها في كفهِ التَلَفا

ولا سبيلَ إلى معسول ريقتِه

حتى يبيتَ من الصهباءِ مرتشفا

فامننْ بها مثلَ ديني رقةً وشَذى

ذكراكَ يطبأ وقلبي في هواكَ صفا

ما للمحبّ وللعواذل

ما للمحبّ وللعواذل

لو أنهم شُغلوا بشاغلْ

ما أنكروا أعجيبةٌ

لأن يصبحَ الهنديُّ قاتلْ

بقدكما إنْ شئتما فتطاعنا

بقدكما إنْ شئتما فتطاعنا

بكلّ رديني القوامِ مثقفِ

وإنْ شئتما بالنبلِ أن تتناضلا

فدونكما بالرشقِ من كل أوطفِ

ولا تُثقلا خصريكما بمهنَّدٍ

ففي كل جفن منكما حد مرهف

جاءت تودّعني والدمعُ يغلبها

جاءت تودّعني والدمعُ يغلبها

عند الرحيل وحادي البين منصلتُ

وأقبلتْ وهي في خوفٍ وفي دهشٍ

مثلَ الغزال من الأشراكِ ينفلتُ

فلم تطقْ خيفةَ الواشي تودّعني

ويحَ الوشاةِ لقد لاموا وقد شمتوا

وقفت أبكي وراحتْ وهي باكيةٌ

تسير عني قليلاً ثم تلتفتُ

فيا فؤادي كم وجدٍ وكم حَزَنٍ

ويا زماني ذا جورٌ وذا عنتُ

للهِ بيطارٌ بحمصٍ ما رنا

للهِ بيطارٌ بحمصٍ ما رنا

إلاّ وسلّتْ مقلتاهُ مخذما

أنحى على سردِ النعالِ فخلتُه

بدراً يصوغُ من الأهِلّةِ أنجُما

لو أنَّ قاضي الحبّ ممن يرتشي

لو أنَّ قاضي الحبّ ممن يرتشي

ما بتُّ أشكو من ظلامة بكمش

قمرٌ على غصنٍ يميلُ به الصبا

فكأنّهُ من خمرِ عانةَ منتشي

وكأنَّ طُرَّتَهُ وضوءَ جبينِه

صبحٌ توضَّحَ تحت ليلٍ أغْطَش

عبثَ الغرامُ بقلبِ عاشقهِ كما

عبثَ النسيمُ بصدغهِ المتوشوش

وأهيفَ كم من مُبتلىً فيه قد بُلي

وأهيفَ كم من مُبتلىً فيه قد بُلي

لهُ جمَلٌ من حسنِه لم تُفَصَّل

صبرتُ عليهِ وانتظرتُ زيارةً

وقلتُ الهوى يومان يومٌ له ولي

فلم تكُ إلاّ مدةٌ إذا رأيتهُ

وعِزَّتُهُ قد بُدّلتْ بتذلل

وأصبحَ مثلَ الرسمِ أقوتْ رسومهُ

لما نسجتها من جنوبٍ وشمأل

فقلتُ لقلبي بعدَ ذاكَ وناظري

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل

يا غزالاً أرى الغوايةَ رشداً

يا غزالاً أرى الغوايةَ رشداً

في هواهُ وأحسبُ الرشدَ غيّا

ما رأينا قبلَ ابتسامكَ بدرَ الـ

ـتمّ يَفْتَرُّ عَنْ نُجوم الثُّرَيّا

عاذلي لو رأيتَ من أنا مغرى

عاذلي لو رأيتَ من أنا مغرى

بهواهُ بَدَّلتَ عَذْلَكَ عُذْرا

زارَ وهناً لا أصغرَ اللهُ ممشا

هُ وحيَّا فزادَهُ اللّهُ برَّا

أجَلْ أنا في لون الشبيبةِ مغرمُ

أجَلْ أنا في لون الشبيبةِ مغرمُ

وإنْ لجَّ عُذَّالٌ وأسرفَ لُوَّمُ

وماذا عليهم أنْ كلفتُ بأسودِ

محلتهُ في العين والقلبُ منهمُ

وقد عابني قومٌ بتقبيل خدِهِ

وماذاكَ عيبٌ أسودُ الركن يُلثمُ

لئنْ ضمَّ جُنحَ الليل أثناءُ بُردهِ

لقدْ شقَّ عن مثل الصباح التبسمُ

وما شانَهُ لونُ السوادِ لأنه

بغرِّ الثنايا والخلائق معلمِ

فكم أشقرٍ يومَ النزال رأيتهُ الـ

ـسُكَيْتَ وجَلَّى يقدمُ النقعَ أدهمُ

ومستعجم الألفاظِ يفصحُ تارةً

ويُرتَجُ عنهُ تارةً فَيُجمجمُ

وحديثِ عهدٍ بالفطامِ كأنما

وحديثِ عهدٍ بالفطامِ كأنما

قد صيغَ من صدفيةٍ بيضاءِ

سبحانَ من أذكى بصفحةِ خدهِ

ناراًيؤَجَّجُ وَقْدُها في ماءِ

وأنارَ ضَوءَ جبينِه متوضّحاً

في ليلةٍ من شعرهِ ليلاءِ

يفترُّ عن مثلِ الجمانِ مؤشَّرٍ

قد صينَ تحتَ عقيقةٍ حمراءِ

ومضيَّقُ الألحاظِ يهزأُ سحرُها

وفترها بالمقلةِ النجلاءِ

وكأنّما برادهُ في خطراتهِ

سنًا على بزينةٍ سمراءِ

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثلها

نجمٌ تولّدَ منهُ بدرُ سماءِ

ومن عجبِ الأيامِ أنَّ شفاعتي

ومن عجبِ الأيامِ أنَّ شفاعتي

ترجى لمن في وجهه ألف شافع

لأبلج عسال التثني مهذب الخلائق

معسول الثنايا مطاوع

يَرومُ شفيعاً من سواهُ جهالةً

ولا شافعٌ مثلَ الحبيبِ المضاجع

هذا الغزالُ الذي بعثتُ به

هذا الغزالُ الذي بعثتُ به

ظمآنُ يشكو إلى نَداكَ ظَما

وهو صبور على الأذى ومتى

تشاط غيظاً بحِلْمِهِ كَظَما

وصاحب قال في معاتبتي

وصاحب قال في معاتبتي

وظن أن الملال من قبلي

قلبُكَ قد كان شافعي أبداً

يا مالكي كيفَ صرتَ معتزلي

فقلتُ إذ لجَّ في معاتبتي

ظلما" وضاقت عن عذره حيلي

خَدُّكَ ذا الأشعريُّ حَنَّفني

فقال من أحمد المذاهب لي

هل وفتْ للطلول عيني فأغنتْ

هل وفتْ للطلول عيني فأغنتْ

ساحَتَيها عن صيّف وربيع

وضلال سؤال غير مجيب

وسَفاهٌ دعاءُ غير سميع

لو رآني العذولُ يومَ استقلوا

لرثى لي في موقفِ التوديع

عبرت تحار منها الغوادي

وزفيرٌ تضيقُ عنه ضلوعي

يعدو الرياض الحيا والأرض مجدبة

يعدو الرياض الحيا والأرض مجدبة

رزقا" وفي البحر ذيل السحب مسحوب

فلا لعجز تعدى تلك نائله

ولا لحرصٍ سقتْ تلك الشآبيبُ

والرزقُ يأتي وإن لم يسعَ صاحبُهُ

حتماً ولكنْ شقاءُ المرء مكتوبُ

لم يبق لي غير أن أموت كما

لم يبق لي غير أن أموت كما

قد مات قبلي مني إلى آدم

كلٌ إلى اللهِ صائرٌ وعلى

ما قدم المرء قبله قادم

يُدركُ ما قدَّمتْ يداه إذا

مات فإمّا جذلان أو نادم

فيا لها حسرة مخلدة

إذا تساوى المخدومُ والخادمْ

لولا الرَّدى كانتِ الدنيا لمن سَبَقا

لولا الرَّدى كانتِ الدنيا لمن سَبَقا

اللّهُ يبقى ويَفنَى كلُّ ما خَلَقا

يهوى الحياة بنو الدنيا وقد علموه

أن الحياة عناء دائم وشقاء

ما مَرَّ من عمرِ الإنسانِ في حَزَنٍ

أو في سرورٍ كطيفٍ في الكَرى طَرَقا

ولا بُدَّ أنْ أسعى لأفضلِ رتبةٍ

ولا بُدَّ أنْ أسعى لأفضلِ رتبةٍ

وأحمي عن عيني لذيذ منامي

وأقتحم الأمر الجسيم بحيث أن

أرى الموت خلفي تارة وأمامي

فإمَّا مَقاماً يضربُ المجدُ حولَهُ

سرادقه أو باكيا" لحمامي

فإن أنا لم أبلغ مقاما" أرومه

فكم حسراتٍ في نفوسِ كِرامِ

أجِدَّكَ ما تَزالُ بكَ الرواحلْ

أجِدَّكَ ما تَزالُ بكَ الرواحلْ

تنقل في الهواجر والهواجلْ

إذا أمسيت في بلد غريبا"

تَرومُ إقامةً أصبحتَ راحلْ

كأنك في الزمان اسم صحيح

جرى فتحكمت فيه العوامل ْ

مزيدٌ في بنيهِ كواو عمرو

وملغى الحكم فيه كراء واصل ْ

وحقك أن يلازمك ارتفاع

لأنك للندى والوجود فاعل ْ

سرى والليل مزور النجوم

سرى والليل مزور النجوم

وقد دنتِ الثُّرَيَّا للغُروب

وَمَدَّتْ كفَّها الجَدْما قليلاً

كمن يرجوا مصافحة الحبيب

كأنَّ النسرَ حينَ رأى ورُودَ الـ

نعائم طار عن كف الخضيب

ويتلو أرنبَ الجبَّار كلبٌ

تَراهُ قد تَهيَّأ للوثوبِ

شحا فاه عن الشعري فلاحت

كمصباحٍ تَألَّقَ في قَلِيبِ

وللعُلجوم في الأفق ارتعادُ الـ

جبان مخافة الحوت الجنوبي

وأبدتْ فنطساً في النهر يطفو

يمين الشرق في شكل عجيب

وبات الذئب والظبيات ترعى

مع الدببين في روض خصيب

أتيتُ فما حظيتُ لسوءِ بختي

أتيتُ فما حظيتُ لسوء بختي

بخدمةِ سيدي ورجعتُ خائبْ

إمامٌ ما تيممناهُ إلاّ

رجعنا بالرَّغائبِ والغرائبْ

اللّهُ يَعلمُ ما سخنتَ لعلةٍ

اللّهُ يَعلمُ ما سخنتَ لعلةٍ

عرضتْ من المأكول والمشروبِ

لكنَّ نفسكَ إذ رأتْ لكَ صاحباً

قد عابَ وهو إليكَ جدُّ قريبِ

فكأنّها أنفتْ لذاكَ فنالها

ألمُ الكريمِ لصحبةِ المعيوبِ

أبُثُّكَ ما لقيتُ من الليالي

أبُثُّكَ ما لقيتُ من الليالي

فقد قصَّتْ نوايبها جناحي

وكيفَ يفيقُ من عنتِ الليالي

مريضٌ لا يرى وجهَ الصلاحِ

يأيها الصاحبُ الصدرُ الذي شهدتْ

يأيها الصاحبُ الصدرُ الذي شهدتْ

بفضله وندَاهُ البدوُ والحَضَرُ

عساكَ تَقبلُ شيئاً قد بعثتُ به

نَزْراً فإني إلى علياكَ أعتذرُ

ولو بعثتُ على مقدارِ فضلكَ أر

سلتُ الكواكبَ فيها الشمسُ والقمرُ

وأرجو أن تعيدَ بياضَ خدي

وأرجو أن تعيدَ بياضَ خدي

إليَّ فأستريحَ من الخضابِ

عطفاً علينا يا عزيزُ فإننا

عطفاً علينا يا عزيزُ فإننا

بعدَ المعظمِ عندكم أيتامُ

ولأنتَ خيرُ الكافلينَ فلا تدعْ

أيْتامَكمْ يا ابنَ الكرامِ تُضامُ

حاشا لمجدكمُ الأثيلِ بأن نرى

في بابِ غيركُم ونحنُ قِيامُ

يا ابن إدريسَ لفظُكَ الأنجمُ الزُهـ

يا ابن إدريسَ لفظُكَ الأنجمُ الزُهـ

ـرُ تَعالى عن جَرْوَلٍ وزُهَيْرِ

لا تذلهُ في سائر الناسِ واحفظ

ـه فما في خيارهم من خيرِ

واقتنعْ بالقليلِ من برِّ مِثلي

واكشطِ اسمي وخُط من شئتَ غيري

لو كنتُ أهدي لمولانا مُشاكِلَهُ

لو كنتُ أُهدي لمولانا مُشاكِلَهُ

لكنتُ أُهدي إليه السهلَ والجبلا

وإنما العبدُ أهدى كُنْهَ قدرتهِ

والنملُ يُعذَرُ في القدرِ الذي حملا

يهدي إلى المولى أقلُّ عبيدهِ

يهدي إلى المولى أقلُّ عبيدهِ

ولقد تفاضلَ حلمُه ما يحتقرْ

ولو انه أهدى على مقداركم

لم يرتضِ الشمسَ المنيرةَ والقمرْ

إنَّ الجهولَ إذا تصدَّى بالغنى

إنَّ الجهولَ إذا تصدَّى بالغنى

في مجلسٍ فوقَ العليمِ الفاضل

فهو المؤخَّرُ في المحافِلِ كلّها

كتقدُّمِ المفعولِ فوقَ الفاعل

لِمَ أخَّرتَني وقدَّمتَ غيري

لِمَ أخَّرتَني وقدَّمتَ غيري

أنا حالٌ وغيريَ استفهامُ؟

ولأنتَ إنْ رفعَ امروٌ من غيرهِ

ولأنتَ إنْ رفعَ امروٌ من غيرهِ

كالمبتدا سببُ ارتفاعكَ معنوي

فداؤكَ كلُّ من أمسى لبخلٍ

فداؤكَ كلُّ من أمسى لبخلٍ

نداهُ كأنَّهُ علمٌ منادى

لي الشرفُ الأعلى على الذي عزَّ جانبهْ

لي الشرفُ الأعلى على الذي عزَّ جانبهْ

فلا أحدٌ إلاّ ومجديَ غالبهْ

وإني الذي لولا صنائعُ جَدّهِ

لما رُفعتْ يوماً لملكٍ مضاربُهْ

فتىً يتقاضى صنعهُ الناسُ دائماً

فلم يخلُ يوماً من غريمٍ يطالبُهْ

لهُ قصباتُ السَبق في كل موطنٍ

يُطيلُ إذا أسدى لمن لا يناسبهْ

ويسقي إذا الأنواءُ في العام أخلفتْ

فهل مثلُ آبائي تُعَدُّ مَنَاقبُهْ

وكم قد كسَونا من يتيمٍ وميّتٍ

سَترنا ولولانا لبانتْ معايبُهْ

وكم قد سعى جَدي لمدّ صنيعةٍ

تُهَزُّ لها أعطافُهُ ومناكِبُهْ

وكم راضَ صعباً جامحاً متمنّعاً

يلاينهُ طوراً وطوراً يصاعبهْ

فأصحبَ من بعد الجماح وأسمحتْ

قرونتهُ حتى تولاّهُ راكبهْ

وإنيّ لمقدامٌ إذا ما تأخَّرتْ

بغيريَ في يومِ الطِعانِ مراكبُهْ

ولستُ كمن ولّى فِراراً من الوغى

يُطيلُ سؤالاً عن رَفيقٍ يُصاحبُهْ

للّهِ قاضي دينذوزَ فإنهُ

للّهِ قاضي دينذوزَ فإنهُ

قاضٍ إذا أسدى أطالَ وأعرضا

المتقنُ الأعمالَ حتى أنها

بهرتْ وأعجزَ صنعها من قد مضى

ستر الأراملَ واليتامى كفُّهُ

وسعى فأصبحَ سعيهُ عينُ الرضى

لولاهُ لم تسترْ لميتٍ عورةٌ

فينا ولا كانتْ صلاةٌ تُرتضى

ما إنْ تراهُ الدهرَ إلاّ آمراً

وسطَ النَدِيّ وناهياً ومُحَرّضا

كم من فقيرٍ صنتَ مهجتهُ ولو

لا صنعُ كفّكَ كانَ من بردٍ قضى

ورُواق ملكٍ أنتَ شِدتَ ظِلالَهُ

لولاكَ زالَ ظلالهُ وتقوّضا

أصبحتَ إنْ نَشَرَ امرؤٌ مِن صُنْعِه

ما قد مضى تطوي الصنيعَ إذا مضى

ولرُبَّ مُنْبتّ وصلتَ بصَحبِه

وطريقهُ لخفائهِ قد أغمضا

ولكم ركضتَ فنلتَ بالركضِ المنى

وأنرتَ مطويّاً ورضتَ الريّضا

وكستْ أناملُكَ اليَراعَ وشائِعاً

هنَّ السحابُ سقى البلادَ وروّضا

وصنيعةٍ قد باتَ غيرُكَ نائماً

عنها وجفنُكَ ساهرٌ ما غمّضا

معدودةٍ ممدودةٍ مشهودةٍ

بيضاءَ أعجلَ صُنعُها أن يُقتضى

كلتا يديكَ لصنعها مبسوطةٌ

يتباريان كلمع برقٍ أومضا

كم فارسٍ في راحتيك ثيابُهُ

وجوادُهُ والمشرفيُّ المُنْتَضى

لو رامَ نشرَ صنائعٍ أسديتَها

فيما مضى بَشَرٌ لضاقَ به الفضا

يسقي إذا بخلَ السحابُ ويرتوى

منه وعارضُ مُزنِه قد أعرضا

فاللّهُ يبقي للخليفةِ صنعَهُ

ويَقي لنا قدميهِ مِن أن ْ تُدحَضا

تجوَّعَ ليَ الشيخُ الزكيُّ وجاءني

تجوَّعَ ليَ الشيخُ الزكيُّ وجاءني

معَ الشمس قبلَ الشمس يتلوهما النجمُ

وقد سَرَّحا ذقنيهما وتسربلا

من الوَشْيِ ما ازدانتْ حواشيه والرقمُ

وجاءتْ بنو عبدانَ طرّاً كأنما

لهم في الذي استصحبتُ من عَدَنٍ قِسمُ

وَجَاءَ أبو الفضلِ الأمينُ وعبدُهُ

كذئبيْ غضاً قد مسَّهم من طَوى ً سقمُ

وأقبلَ شمسُ الدينِ يسعى مُبادراً

وفي كُمهِ للنهبِ من أدَمٍ كمُّ

جُموعٌ لوكنَّ السَدَّ أعرضَ دونهم

بدَا منهمُ في جانبيْ رتقهِ ثَلمُ

يرومون خبزي والكواكبُ دونه

لقد ضلَّ عنهم رأيهم ونأى الفهمُ

أما علموا أنّ الذبابةَ لا ترى

طعامي وأنَّ الفارَ عندي لها لُجمُ

صلاحَ الدين يا خيرَ البرايا

صلاحَ الدين يا خيرَ البرايا

ومن قد عمَّ بالفضل الرعايا

سمعتُ بأنَّ محيي الدين يغشى الـ

وغى والحربُ ضاريةُ المنايا

فلا تشهدْ بصفعانَ قتالاً

فقوسُ الندفِ لا تصمي الرمايا

أقولها لو بلغت ما عسى

أقولها لو بلغت ما عسى

فالطبلُ لا يضربُ تحتَ الكسى

قاضيكَ إنْ لم تُقصِه فاخصِه

أولا فلا يحكم بينَ النسا

اللّهُ يعلمُ ما حلَّلتَ من دمِها

اللّهُ يعلمُ ما حلَّلتَ من دمِها

وسفكهِ مستحلاً بعدما حَرُما

لكنْ رأيتَ ذوي الجاهات تشربها

رِيّاً وتتعبُ في تحصيلِها العلما

وكنّا نرجّي بعدَ عيسى محمداً

وكنّا نرجّي بعدَ عيسى محمداً

لِيُنقذَنا من لاعج الضُرّ والبلوى

فاوقعنا في تيهِ موسى فكلّنا

حيارى ولا منٌ لديهِ ولا سلوى

أشكو إلى اللّهِ حَماتي فما

أشكو إلى اللّهِ حَماتي فما

يعلمُ ما لاقيتُ منها سواهُ

عجوزُ سوءٍ لو رأتْ قودةً

في النسر طارتْ بجناحيْ قطاهْ

تقولُ للبنتِ الطمي خدّهُ

ولا تهابيهِ وصكي قفاهُ

وباهِتيهِ إنْ رأى ريبَةً

وابكي وسبّيهِ وسبّي أباهُ

واللّهِ لا أُفلحُ ما عُمّرتْ

قل لي متى أفلحَ صاحبَ حماهْ

قالوا الموفقُ شِيعِيٌّ فقلتُ لهم

قالوا الموفقُ شِيعِيٌّ فقلتُ لهم

هذا خلافُ للناس منهُ ظهرْ

وكيفَ يصبحُ دينُ الرفض مذهَبهُ

وما دعاهُ إلى الإسلامِ غيرُ عمرْ

أبو الفضل وابنُ الفضل أنتَ وتربهُ

أبو الفضل وابنُ الفضل أنتَ وتربهُ

فغيرُ بديعٍ أنْ يكونَ لك الفضلُ

أتتني أياديكَ التي لا أعدها

لكثرتها لا كفرَ عندي ولا جهلُ

ولكنَّني أنبيكَ عنها بطرفةٍ

تروقُكَ ما وافى لها قبلَها مثلُ

أتاني خروفٌ ما شككتُ بأنهُ

حليفُ هوىً قد شقَّهُ الهجرُ والعذلُ

إذا قامَ في شمس الظهيرةِ خلتَهُ

خيالاً سرى في ظلمةٍ ما لهُ ظلُّ

فناشدتهُ ما تشتهي قالَ قتَّةٌ

وقاسمتهُ ما شقّهُ قالَ لي الأكلُ

فأحضرتُها خضراءَ مجَّاجةَ الثَّرى

مسلّمةَ ما حصّ أوراقها الفتلُ

فظلَّ يُراعيها بعينٍ ضعيفةٍ

وينشدها والدمعُ في الخدِّ منهلُّ

"أتتْ وحياضُ الموتِ بيني وبينها

وجادتْ بوصلٍ حينَ لا ينفعُ الوصلُ

فديتكَ قلْ للشريفِ الشهابِ

فديتكَ قلْ للشريفِ الشهابِ

وإنْ شاطَ غيظاً فلا تحتفلْ

تُوالي الحنابلةَ القائلينَ

بأنَّ يزيدَ إمام عَدَلْ

وتزعمُ أنّكَ من عترةِ الـ

ـوصيّ وأنتَ تحبُّ الجملْ

قمْ فاسقنيها من سلافٍ صانها

قمْ فاسقنيها من سلافٍ صانها

عصَّارُها في الدَنّ حولاً كاملا

خمراً تخالُ شُعاعَها في كأسِها

برقاً تألقَ أوْ نُضاراً سائلا

أو ما ترى الجوزاءَ كيفَ تعرَّتْ

والنجمُ في أفق المغاربِ آفلا

والصبحَ قد فضحَ الدُّجى فكأنَّهُ

شيبُ ابن عُروةَ حين يُضحي ناصِلا

لا تحسبوا أنّ قلبي عن محبّتكْ

لا تحسبوا أنّ قلبي عن محبّتكْ

وإنْ تماديتم في هجركم زادا

رَثَّتْ مواثيقُ عهدٍ كنتُ أعرفُها

وبيننا أصبح الشيطانُ نَزَّاغا

ولستُ آيسُ من وصلٍ أسرُّ بهِ

قد يجمعُ اللهُ بومَ الفقرِ والزَّاغا

وسوفَ أرقُبُ بدراً من وصالكُم

يكونُ في ظلمةِ الهجران بزَّاغا

إذا اختبرتَ بني الدنيا وجدتَهمُ

عقارباً وثعابيناً وأوزاغا

وإنْ تأمَّلتَ أخباراً أتَوكَ بها

رايتَ زوراً وروَّاغاً وأوزاغا

رأيتُ النبيَّ عليهِ السلامُ

رأيتُ النبيَّ عليهِ السلامُ

فقمتُ غليهِ وقبَّلتهُ

فقالَ أيعقوبُ يروي الحديـ

ـثَ فقلتُ نعمْ قالَ ما قلتهُ

يا مَعْشرَ الناس حالي بينكم عَجَبٌ

يا مَعْشرَ الناس حالي بينكم عَجَبٌ

وليسَ لي بينكمْ يا قومُ أنصارً

هذا ابنُ كامل قد أودعتُهُ ذَهباً

صيَّابةً ما لها في العين مقدارُ

وجئتُ أطلبها منهُ وقد عرضتْ

في السوق مني لُبَاناتٍ وأوطارُ

فقامَ ينفضُ كميْهِ وينظرُ في

صندوقهِ وينادي جرَّها الفارُ

فقلتُ لا شبَّ فرنُ الفار كم أكلوا

مالَ اليتامى وكم جرُّوا وكم جاروا

أينما سرتُ في بلادِ إلهِ الـ

أينما سرتُ في بلادِ إلهِ الـ

ـعرشِ ألفيتُ ثَمَّ كهفاً وصخرهْ

فإلى اللهِ أشتكي ما ألاقي

كلُّ أرضٍ فيها على الناس سخرهْ

حوى قصبَ السبق أهلُ العراق

حوى قصبَ السبق أهلُ العراق

وعطَّرَ ذكرهم الأنديهْ

وأيُّ خطيبٍ يجاريهمُ

وقد خطبتْ فيهمُ الأجديهْ

مثلي وقد وافيتُ أطلبُ رفدكمْ

مثلي وقد وافيتُ أطلبُ رفدكمْ

جهلاً ولم يكُ لي حجىً ينهاني

مَثَلُ الظليمِ مَضى يرومُ بجهلهِ

قرناً فعادَ مُصلَّمَ الآذانِ

وكَّلتَ بي صعبَ المِراسِ ملازماً

كالظلِّ يتبعني بكلِّ مكان

لم أعْشُ عن ذكرِ الإلهِ فليتني

أدري علامَ قرنتُ بالشيطان

ليلٌ بأول يومِ الحشرِ متَّصلُ

ليلٌ بأول يومِ الحشرِ متَّصلُ

ومقلةٌ أبداً إنسانها خضلُ

وهل ألامُ وقد لاقيتُ داهيةً

ينهدُّ لو حملتها بعضها الجبلُ

ثوى المِصَكُّ الذي قد كنت آملهُ

عوناً وخيّبَ فيهِ ذلكَ الأملُ

لا تَبعُدنْ تربةٌ ضَمتْ شمائِلَهُ

ولا عَدا جانِبَيْها العارضُ الهطِلُ

لقد حوتْ غيرَ مكسالٍ ولا رعشٍ

إنْ قيَّدَ الفودَ من دون اسرى الكسلُ

قد كانَ إنْ سابقتْهُ الريحُ غادرَها

كأنَّ أخمصها بالشوكِ ينتعلُ

لا عاجزاً عند حملِ المثقلاتِ ولا

يمشي الهُوَينى كما يمشي الوَجي الوَجِلُ

مكمَّلُ الخلقِ رحبُ الصدرِ منتفخُ الـ

جنبين لا ضامرٌ طاوٍ ولا سغلُ

يطوي على ظمَإٍ خمساً أضالِعَهُ

في بيضةِ الصيفِ والرمضاءُ تَشتعلُ

ويقطعُ المقفراتِ الموحشاتِ إذا

عنْ قطعِها كلَّتِ المَهريَّةُ البُزُلُ

ففي الأباطح هيقٌ راعهُ قنصٌ

وفي الجبال المنفياتِ الذُرى وَعِلُ

يرجّعُ النهقَ مقروناً ويطربني

لحناً كما يُطربُ المَزْمومُ والرَمَلُ

لو كانَ يفدى بمالٍ ما ضننتُ بهِ

ولم تصنْ دونهُ خيلٌ ولا خولُ

لكنَّها خُطةٌ لا بدَّ يبلُغُها

هذا الورى كلُّ مخلوقٍ له أجَلُ

وإنَّ لي بنظامِ الدينِ تعزيةً

عنهُ وفي النجبِ من أبنائه بَدَلُ

سلوهُ إنْ أجابكم سلوهُ

سلوهُ إنْ أجابكم سلوهُ

سلوهُ جُنَّ حتى سَلسلوهُ

ولولا أنكم بقرٌ حميرٌ

لما منعوكمُ أن تدخلوهُ

لمّا رأى الجامعَ أموالهُ

لمّا رأى الجامعَ أموالهُ

مأكولةً ما بينَ نوَّابهِ

جُنَّ فمنْ خوفٍ عليه غدا

مسلسلاً من كل أبوابهِ

وكيف لا تَعتادُهُ جِنَّةٌ

وقد رأى المسخَ لأربابهِ

القردُ في شبّاكهِ حاكمٌ

والتّيسُ في قبَّةِ محرابهِ

غياثٌ فاسمعوا قولي وعمروٌ

غياثٌ فاسمعوا قولي وعمروٌ

لهم عندي أحاديثٌ ظريفهْ

فزانٍ ما عليهِ مِن جُناحٍ

وقوَّادٌ بتوقيع الخليفهْ

غياثٌ وعمروٌ فاسمعوا ما علمتهُ

غياثٌ وعمروٌ فاسمعوا ما علمتهُ

لشيخين عندي من حديثِهما شانُ

غياثٌ نفى عن نفسهِ الحدَّ في الزنى

وعمروٌ بتوقيع الخليفةِ قرنانُ

لا رعى اللهُ ليلتي في بخارى

لا رعى اللهُ ليلتي في بخارى

ذكرُها ما حييتُ حشو ضميري

طرقتني الضيوفُ فيها وقد بـ

ـتُّ من الجوع في عذاب السعيرِ

ليسَ في منزلي سوى قحفَ إبريـ

ـقٍ وباقي قطيعةٍ من حصيرِ

أتقرَّى التجارَ في سائرِ الخا

ناتِ ظهراً عندَ استواءِ القدورِ

فإذا فاتني كريمٌ يغدّيـ

ـني تعشيتُ فُرصةً مِنْ شَعيرِ

وأداري في صونِمالي بعرضي

وأقولُ القليلُ أصلُ الكثيرِ

وأنا لموسرُ الغنيّ ولكنّ

ـي من فرطِ خسةٍ كالفقيرِ

فأتاحَ القضاءُ لي رهطَ سوءٍ

كذئابٍ قد أحفقتْ أو نُمورِ

ألزموني ما قالهُ الخالديَّان

وراحوا عني بقول جريرِ

ثمَّ قالوا مَعادُنا عن قَريبٍ

فارتقِبْنا فقلتُ هذا مَسيري

أحبابَنا ما لهذا الهجر مِنْ أمَدِ

أحبابَنا ما لهذا الهجر مِنْ أمَدِ

وحقّكم عزَّ صبري وانتهى جلدي

أبيضةُ الديكِ حظي من وصالكمُ

لا تفعلوا واجعلوها دعوةَ الأبدِ

فللعواذلِ مني حظُّ شيعتِهِ

يومَ الوليمةِ لا يلوى على أحدِ

عهدي به واليدُاليمنى يكفُّ بها

غَرْبَ المدامع والأخرى على الكبدِ

يقولُ للخبزِ لا يبعدُ مداكَ ولا

"أخنى عليكَ الذي أخنى على لبدِ"

أنا وابنُ شيثٍ والرشيدُ ثلاثةٌ

أنا وابنُ شيثٍ والرشيدُ ثلاثةٌ

لا تُرتجى فينا لخَلقٍ فائدهْ

من كل من قصرتْ يداهُ عن النَدى

يومَ الجَدا وتطولُ عند المائدهْ

فكأنّنا واوٌ بعمروٌ ألحقتْ

أو أصبعٌ بينَ الأصابع زائدهْ

أنا وابن شيثِ في الخيامِ زيادةٌ

أنا وابن شيثِ في الخيامِ زيادةٌ

وابنُ النّفيسِ وذا المُلقُّ الصوفي

لا نَيْلُنا يُرجى ولا أضيافُنا

تُقرى ولا تُدعى لدفعِ مَخوفِ

أما الملقُّ كما علمتَ فنسكهُ

نصبٌ على زبديةْ ورغيفِ

وفتى بَجيلةَ إن قَرا ما خَطَّهُ

أبصرتَ منه غرائبَ التصحيفِ

ومهوَّسٍ بالكيمياءِ يقطّعُ الأ

وقاتِ بالآمالِ والتسويفِ

يَبغي من الأبوالِ تبراً خالصاً

عقلٌ لعَمرُ أبيكَ جِدُّ سخيفِ

وأنا وشعري كم يعنّفني الورى

فيهِ فلا فلا أُصغي إلى التعنيفِ

نَبْتان هذا أصلُهُ سامِقٌ

نَبْتان هذا أصلُهُ سامِقٌ

قاسٍ وذا مِن خَائِرٍ قاصرِ

أيُّهما صحَّفتْ معكوسهُ

دلَّ بلا شكٍّ على الآخر

وما حيوانٌ يتَّقي الناسُ شرَّهُ

وما حيوانٌ يتَّقي الناسُ شرَّهُ

على أنَّه واهي القُوى واهنُ البطشِ

إذا ضَعَّفوا نصفَ اسمِه صار طائراً

وإن ضَعَّفوا باقيه صار من الوحشِ

عنديَ مملوكةٌ إذا حَملتْ

عنديَ مملوكةٌ إذا حَملتْ

علمتَ حقاً بأنها مُثْئِمْ

تجنُّ ضدَّين قطُّ ما اجتمعا

في ناطقٍ قبلها ولا أعجمْ

أعلمُ ما تحتوي أضالعُها

عليهِ من حملها وما تعلمْ

يَلقحُها كلُّ مَن يُباشِرُها

سِيَّانِ عمرانُ كانَ أو مريمْ

وهي متى استنتجتْ بدا ذكرٌ

وأختُهُ في الحَشا وما تسلمْ

يا أدباءَ الزمانِ أني

يا أدباءَ الزمانِ أني

أعجزني للعويصِ كشفُ

فخبّروني عن اسمِ جمعِ

النصفُ ظرفٌ والنصفُ حرفُ

وما مسبطرٌّ ماؤهُ متدفّقٌ

وما مسبطرٌّ ماؤهُ متدفّقٌ

من الظهرِ يأتي غيرَ زورٍ ولا كذبْ

يمجُّ بما منهُ الخليقةُ كلّها

ولا روحَ فيه إنَّ هذا هو العجبْ

أهلَ العلومِ أحاجيكم بواردةٍ

أهلَ العلومِ أُحاجيكم بواردةٍ

لا ترتوي ذاتِ إبطاءٍ على عَجَلَهْ

إذا استوى بين رِجليها امرؤٌ نطقتْ

بمزعجاتٍ من الأصواتِ متَّصلهْ

تمشي وقائدُها مِن خلفِها أبداً

تميدُ في المشيِ كالسكرانةِ الثملهْ

صعراءٌ إنْ هي قامتْ فهيَ مائلةٌ

وإنْ مشتْ فهي كالميزان معتدلهْ

محمولةٌ وهي للأثقال حاملةٌ

مقيمةٌ لا تزالُ الدهرَ مرتحلهْ

ومملوكةٍ أنسابُها فارسيَّةٌ

ومملوكةٍ أنسابُها فارسيَّةٌ

لها لينُ مولى تحتَ قوةِ والي

عليها جَلابيبٌ يروقُكَ وشيُها

كنْ قد وشتها حميرٌ بأزال

تحنُّ لفقدانَ القرين كأنَّها

فصيلٌ حماهُ الخلفَ ربُّ العيال

إذا آنستْ فقدَ القرين حسبتَّها

جمالاً تراغتْ بُكرةً لِجمال

تواصلُ بينَ الكافِ والجيمِ رنَّةٌ

إذا ما يمينٌ أردفتْ بشمال

أيّها السيّدُ الذي جعلَ الشر

أيّها السيّدُ الذي جعلَ الشر

كَ حُطاماً وشيَّدَ الإسلاما

قد أتاكَ الجوابُ لا شكَّ فيهِ

فاتَّخذني للمشكلاتِ إماما

لك الفضلُ مجدَ الدين شرَّفت عبدَكَ الـ

لك الفضلُ مجدَ الدين شرَّفت عبدَكَ الـ

ـغريبَ بنظمٍ لا نَقيسُ به نَظما

وسَقَيْتَني من بحرِ فضلك شُربةً

مُقَدَّسةً صِرفاً حَمتنيَ أنْ أظما

وألبستني برداً من المجدِ ضافياً

جعلتَ عليه من صِفاتِكَ لي رقْمْا

وألغزتَ لي في حاكمٍ غيرَ مبصرس

ولسنا نرى فضلاً لديهِ ولا علما

وتقبلُ من أحكامهِ كلُّ أمَّةٍ

ولا بخسَ فيهِ للأنامِ ولا هضما

وقلتَ بأنَّ العينَ تُبطِلُ حكمَهُ

نعم يحتوي عيناً ونمضي له الحكما

وتنزلُ فيهِ الشمسُ في العامِ مرَّةً

وترحلُ عنهُ مثلما نزلتْ حتما

فلو جعلوا المعتلَّ هاءً ورخَّموا

لكانَ على كل الورى حكمُه حلما

فلا زلتَ محروسَ الجنابِ مسلَّماً

سنا مجدكَ الأعلى وجانبكَ الأسمى

ما اسمٌ حرامٌ للنساءِ فِعالُهُ

ما اسمٌ حرامٌ للنساءِ فِعالُهُ

وتراهُ بالتصيحفِ وهو مُحلّلُ

جمعٌ إذا ألقيتَ ثانيهِ ولم

يسمعْ بواحدهِ على ما ينقلُ

وبحذفِ ثالثه يُعابُ أخو الحِجى

إنْ جاءَ فيما قالَ أو ما يفعلُ

ويصيرُ بالترخيمِ إنْ ناديتهُ

ضداً لتصحيفِ الذي لا ينحلُ

لغزٌ أتاكَ به خليلٌ صادقٌ

في ودّهِ بادٍ لمنْ يتأمَّلُ

تركَ الخِداعَ بكشفِه لِقاعِه

فأبانهُ وهو الخفيُّ المشكلُ

ما نالَ الهوى ممنْ كلفتُ بهِ

ما نالَ الهوى ممنْ كلفتُ بهِ

مني صديقٌ ولا أبثثتهُ بَشَرا

خفتُ الرقيبَ عليهِ والوشاةَ بهِ

فقد جعلتُ اسمَهُ فِي القلبِ مستترا

قَدَرٌ مُتاحٌ نظرةٌ أرسلتُها

قَدَرٌ مُتاحٌ نظرةٌ أرسلتُها

فكأنَّني ناضلتُ أحذقَ رامي

أألومُهُ فيما جَنَتْهُ سِهامُه

ما ذنبُهُ الجاني عليَّ سِهامي

لا أتَّقي فيهِ الملامَ لأنَّني

أخفيتهُ في القلبِ عن لوَّامي

أخفي اسم من أحبُّهُ مخافةً

أخفي اسم من أحبُّهُ مخافةً

وذكرهُ في القلبِ شوقٌ وارقْ

شُبّهَ بالوردِ الجَنِيّ خَدُّهُ

وخدّهُ من ذاكَ أندى وأرقْ

فديتُ فتىً ثاقبَ فكرهِ

فديتُ فتىً ثاقبَ فكرهِ

يُقلّدُ دراً مِن نفائسِ نظمهِ

فلا زالَ في كل الأمورِ مظفَّراً

بطولِ أياديهِ وصادقِ عزمهِ

أجدَّكَ ما تَنفكُّ تُلغِزُ مُشكلاً

تُقَصّرُ ألبابُ الورى دون فهمهِ

وقد ضاعَ من أنفاسِ نظمكَ نفحةٌ

من المسكِ فاجعلها فداماً لختمهِ

ما اسمٌ رُباعيٌّ الحروفِ وإنما

ما اسمٌ رُباعيٌّ الحروفِ وإنما

باثنين يكتبُ والصحيحُ فواحدهُ

فإذا دعوتُ له فلستُ أزيدهُ

فإن استُجيبَ دُعايَ فهو الخالدُ

ولو أنَّهُ لي في المنامِ مصحَّفٌ

لوددتُ أني طولَ دهري راقدُ

وتَراهُ إنْ صحَّفتَهُ وعكستَهُ

ينجي فبيّنهُ فإنّكَ ناقدُ

ولقد كتَمتُ اسم الذي أحببتُهُ

ولقد كتَمتُ اسم الذي أحببتُهُ

ودفنتُ سرَّ حديثِهِ بينَ الحشا

ورأيتُ نقض العهدِ ذنباً يحتوى

أبداً وكشفَ السر شيئاً مفحشا

فجعلتُ سرَّ القلبِ ستراً دونَهُ

فَمَن الأمينُ البَرُّ إنْ قَلْبٌ وشى

إني لأخشى القلبَ يَكشفُ سرَّهُ

إنْ طارَ عنهُ النسرُ واصطادَ الرشا

وشادن أبصرتهُ قائماً

وشادن أبصرتهُ قائماً

يلعبُ بالأكرةِ في موسمِ

كأنَّهُ البدرُ وقد كُلّلتْ

مِنْ عرَق خدَّاهُ بالأنجُمِ

وكلَّما أبعدَها ركضُهُ

عادتْ على أقدامهِ ترتمي

قلتُ له ما اسمكَ قلْ لي فقد

سفكتْ من غيرِ جراحِ دمي

فمرّ في لعبته لاهياً

وقال حرفانِ من المُعجمِ

أيُّها العالمُ الرئيسُ أجبني

أيُّها العالمُ الرئيسُ أجبني

عن سؤالي فأنتَ ربُّ المعاني

أعجزتني ثلاثةٌ وهيَ خمسٌ

مشكلاتٌ مالم تنطْ بثماني

فإذا ما عكستها ثمَّ صحَّفـ

ـتَ غدتْ واحداً من الحيوانِ

ما في نفاق أبي سفيانَ مختلفٌ

ما في نفاق أبي سفيانَ مختلفٌ

قد كانَ أوْفى قريشٍ للنبيّ أذى

وكانَ رأسَ العمى في جاهليَّتهِ

فصارَ في مقلةِ الدينِ الحنيفـِ قذى

ياخليليَّ لا تطيلا سرالي

ياخليليَّ لا تطيلا سرالي

سرٌّ مثلي في الحب لا يُبديهِ

سائِلاً القلبَ إن قدرتمْ على أنْ

تسألاهُ عن أسمِ من حلَّ فيهِ

هو في الناسِ ظاهرٌ غيرَ حرفٍ

واحدٍ في هجائهِ يخفيهِ

وإذا نقطةٌ نفتْ أختها عنهُ

فكلٌّ بجهدهِ يتَّقيهِ

وساحرَ الطرفِ شَهيّ اللَّمى

وساحرَ الطرفِ شَهيّ اللَّمى

حلو التثنّي كامل الحسن

يمشي وتربٌ معهُ مثلهُ

في الشكل والهيئةِ والسن

قلتُله ما اسمكَ قلْ لي فقد

فتنَتني قالَ انصرفْ عَني

تَبغي سوى اسمي وتُوَرّي به

فاتكَ ما تطلبهُ مني

أخفيتهُ عنكَ ولكنَّهُ

يبدو بما غرَّكَ من جفني

قلتُ فهذا ما اسمُهُ قال لي

بعضُ الذي قد قلتَهُ يُغني

ما اسمٌ إذا قطَّعوهُ كان أربعةً

ما اسمٌ إذا قَطَّعوهُ كان أربعةً

وعَدُّهُ ستةٌ معروفةُ السببِ

نصفٌ ثلاثةُ أرباعٍ يكونُ لهُ

ونصفهُ ربعهُ هذا من العجبِ

وحرفُ ثانيهِ معجومٌ بواحدةٍ

وعجمٌ آخِرِهِ ثنتان في الكتبِ

ولاسمهِ نسبٌ لو كنتَ تعرفهُ

ما إنْ يَؤولُ إلى عُجْمٍ ولا عربِ

هذا اسمُ ذي غُنُجٍ ما إنْ يفسّرهُ

إلا امرؤٌ بَارعٌ في العلم والأدبِ

ومهينٍ ما زالَ في الناس محفو

ومهينٍ ما زالَ في الناس محفو

ظاً مناهُ من كلهم حرفُ جرّ

قِيلَ يا صاح ما اسمُه قلتُ بدرٌ

إنما راءٌ بدره واو عمرو

إني لأعجبُ من ثلاثةِ أحرفٍ

إني لأعجبُ من ثلاثةِ أحرفٍ

نَسَقٍ يخالفُ شكلُها أوصافَها

يلقاكَ سائرها بشكلٍ واحدٍ

ويُريكَ قطعُ رؤوسِها أنصافَها

في اسمٍ لبدرٍ ما رنتْ ألْحاظُهُ

إلاَّ وأهدتْ للنفوسِ تَلافَها

إنْ بدّلوا أوّلهُ آخراً

إنْ بدّلوا أوّلهُ آخراً

وبدَّلوا الثاني بالآخرِ

حدَّتْ عن أنفاسهِ آخرَ الليـ

ـلِ وعن جفنٍ له فاترِ

إسمعْ وقاكَ إلهي ما تحاذرهُ

إسمعْ وقاكَ إلهي ما تحاذرهُ

فخيرُ ما وُقِيَ الإنسانُ ما حَذِرَا

مضروبُ أولهُ في نصفِ آخرهِ

جذرٌ لأوسطهِ إنْ حاسبٌ نظرا

ولي صاحبٌ يغشى الوغى وهو فارسٌ

ولي صاحبٌ يغشى الوغى وهو فارسٌ

ويعجزُ أنْ يغشى الوغى وهو راجلٌ

تفخَّذَ ظهرَ الأعوجيّ محزَّماً

فقلتُ هلالٌ أطلعتهُ المنازلُ

ولا غنيةٌ فيه بغيرِ أخٍ له

شديدِ القوى صعبٍ على الخيلِ باسلِ

أسيمرُ موشيُّ العذارِ كأنّما

يناطُ به ساعديهِ جداولُ

ورومية ٍ في الدار عندي عزيزة ِ

ورومية ٍ في الدار عندي عزيزة ِ

عليَّ تروّيني الحديثَ بلا ضجرْ

تفوتُ القنا الخطيّ طولاً وشكلها

يُوازي الغلامَ الطفلَ في شدّة ِ القصَرْ

وأحببتُ يوماً أنْ أراها بحلية ٍ

فصغتُ لها تاجاً ولكنّهُ حجرْ

وتركية ِ الأنسابِ طوراً أحبُّها

وتركية ِ الأنسابِ طوراً أُحبُّها

فأكرمُ مثواها وأعنى ببرّها

أواصلها حتى إذا ما مللتها

رأيتُ لذيذَ العيشِ في طول هجرها

خلفتُ لها آباءَها ووكلتُها

إلى ناصحٍ طبٍّ خبيٍ بسرها

فجاءتْ على ما اخترتُ لا الطولُ شانها

ولا قالَ فِيها الناسُ عيباً لقصرها

وألبستها ثوباً من الوشي معلماً

لإتمام معناها وإكمال فخرها

وما ليلةٌ في الدهر إلا هجرتُها

فلا وصلَ حتى تستنيرَ بفجرها

وكانت زماناً يُستَلذُّ ببطنِها

ولكنَّني ألتذُّ منها بظهرها

وسائرةٍ في الليل لا تعرفُ الكرى

وسائرةٍ في الليلِ لا تعرفُ الكرى

تحمَّلُ أباءً ثقالاً فتصبرُ

أُتيحَ لها علجٌ غنيفٌ فبزَّها

ملابسها مستأجرٌ لا يقصّرُ

وألْبَسَهَا ثوباً منَ الوشي رائعاً

وليسَ لها عقلٌ فتُثني وتَشكرُ

فمنْ سرَّهُ تأنيثها أنَّثَ اسمها

ومَنْ سرَّهُ التذكيرُ فهو مُذكّرُ

ومملُوكةٍ عندي عزيزٍ نِجارُها

ومملُوكةٍ عندي عزيزٍ نِجارُها

عليها حُلِيٌّ مِن لُجَيْنٍ ومن تِبْرِ

إذا قابلتْ بدرَ السماءِ بوجهها

تيقَّنتَ أنَّ البدرَ قوبلَ بالبدرِ

يؤثّرُ فيها الوهمُ من صلفٍ بها

فمنْ أجلِ هذا لا تريمُ عن الخدرِ

تُخبّرُني عني بما لا رأيتُهُ

فتصدقُ فيما خَبَّرتْ وهي لا تدري

تُقابلُ بالتقطيبِ إنْ قُوبلتْ بهِ

وإنْ قوبلتْ بالبشرِ لاقتهُ بالبشرِ

قد تنقَّلنا بميمين

قد تنقَّلنا بميمين

وسينين وجيم

فعلَ أجلافِ جبالٍ

خِيمُهم خالفَ خِيمي

وما إخوَةٌ شَتَّى النِجار فمنهُمُ

وما إخوَةٌ شَتَّى النِجار فمنهُمُ

نبيهٌ ومنهمْ خاملٌ ما لهُ ذكرُ

ولا عقلَ يهديهم ولا دينَ عندهم

وحُكمهمُ حكمٌ وأمرهمُ أمرُ

عتادهم نحرُ الصفايا لقومهم

إذا السنةُ الشهباءُ أخلفها القطرُ

إذا ما انتدى الساداتُ يوماً لحكمهم

تباشرتِ الأيامُ واندفعَ العسرُ

ومن عجبٍ أنْ ليسَ ينفذُ حكمهم

على أحدٍ إلاَّ ضمَّهم قبرُ

وأعجبُ منهُ أنّنا بفعالهِ

نعابُ وقدماً كانَ في فعلهِ فخرُ

أيُّها السيد الأجلُّ عفيفَ الـ

أيُّها السيد الأجلُّ عفيفَ الـ

ـدين زينَ الحِجى وحلفَ الوقارِ

أنتَ من أُسرةٍ عَتادُهمُ في المجـ

ـدِ بذلُ الندى وحفظُ الجارِ

سادةٌ جَمَّعوا شَتَاتَ المعالي

عظماءُ الحُلومِ والأخطارِ

والمجليّ في كل حلبةِ سبقٍ

وسواكَ السُّكيتُ غير الجاري

كاسياً من ثابِ فضلٍ وفخرٍ

عارياً من لباسِ ذلٍ وعارِ

لا تخلني ممَّنْ يجاريكَ في اللغـ

ـزِ وقد فرَّ منكَ كلّ مجاري

كلَّ يومٍ تجيئني بعويصٍ

مِن قوافيكَ متعب أفكاري

كان لي قدرةٌ على اللغزِ إذ حبـ

ـلي متينٌ وزندُ فكري واري

وحقيقٌ بالثلبِ ثِلبٌ تَصدَّى

لمجاراةِ بازلٍ خطَّارِ

غيرَ أني أظنُّ أنَّكَ تَكني

عن رفيعٍ محلُّهُ ذي احتقارِ

أبداً يَكتسي العواري من النا

سِ ومن يكتسي العواري عاري

فهو يكسى واليومُ صحوٌ ويعرى

جسمُهُ في مواقعِ الأمطارِ

فإذا لم أُجبْ فغيرُ ملومٍ

أنْ يرومَ المشيبُ إطفاءَ ناري

ولعَمْري لقد نطقتُ صَريحاً

باسمه فانجلى كضوءِ النهار

وعوجٍ كأمثالِ الأهلَّة بُزَّلِ

وعوجٍ كأمثالِ الأهلَّة بُزَّلِ

دِقاقٍ حَواشيها تِماكٍ خُصورُها

عقرت لصحب جمع فرديهم

بطاناً واما تدم منها نحورها

تحاجيني ولفظك مثل درّ

تحاجيني ولفظك مثل درّ

لهُ مِن فكركَ الواري نِصاحُ

وقدحك في العلوم هو المعلّى

غَداةَ تُجالُ في النادي القِداحُ

ببعلٍ كلُّهُ ذكرٌ صحيحٌ

وأنثى كلُّها فرجٌ مُباحُ

وتُقْضى هذهِ ويُجَبُّ هذا

ول اتؤذيهما تلك الجراحُ

ألغزت في شيىء ٍ ينـ

ألغزت في شيىء ٍ ينـ

ـمُّ ضلوعه في صدرهِ

ومجلَّدٌ بالعظمِ يَظـ

هر منه خافي أمرهِ

وإذا عكست حروفه

شرف الحسام بذكرهِ

ولقد جعلت هلاله

وهو الخفيُّ كبدرهِ

ومملوكةٍ عندي حديثٌ نِتاجُها

ومملوكةٍ عندي حديثٌ نِتاجُها

أتَتْني بمولودٍ وما بلغتْ شهرا

على أنها بكرٌ حصانٌ وعالق

وهذا لعمري مشكلٌ يُتعب الفكرا

وقد ولدَتها أُمُّها وهي حامِلٌ

فيا عجباً إني أرى أمرها نُكرا

ومذ نَبَذتها أُمُّها حَفِيتْ بها

حُنُواً وَضمَّتْهَا إلى جَنْبها أُخرى

وفي جَمعها نقصٌ وتصحيفٌ عكسه

يكونُ لهُ صيتٌ وليس له ذكرى

وقاكَ اللهُ مجدَ الدين عينَ الـ

وقاكَ اللهُ مجدَ الدين عينَ الـ

ـحسودِ ملأتْ لي قلبي سرورا

لقد أُوتِيتَ في نظمِ القوافي

وفي تفصيلها ملكاً كبيرا

إذا انتسبتْ إليكَ بناتُ فكرٍ

حَقَرنا كُلّ ما زانَ النُحورا

وإنْ جُلِيَتْ عرائسُها علينا

ندينُ لها الفرزدقَ أو جريرا

معانٍ كالأهلّةِ في خفاءٍ

ولفظٌ واضحٌ يحكي البدورا

لقد شرَّفني ورفعتَ قدري

فأصبحتِ المجرَّةُ لي سريرا

سألتَ وقد أجبتُ فإن تجدني

هفوتُ فسلْ تجدْ غيري خبيرا

ياشاعراً ألْغَزَ لي

ياشاعراً ألْغَزَ لي

مِنْ شِعرهِ بديعُهُ

سَمِيُّهُ في البحر لا

كِنّيَ لا أُذيعُهُ

مااسمٌ لحيٍّ وميْتٍ

مااسمٌ لحيٍّ وميْتٍ

يُرى وبَرّ وبحر

اسمان واسمٌ وفعلٌ

إنْ شئتَ من غير نُكر

وإنْ تشأ كانَ فعليْـ

ـن فعلَ نهيٍ وأمرِ

ما عدد مثلَ ضعفهِ نصفهْ

ما عدد مثلَ ضعفهِ نصفهْ

تندى على لينِ كفّهِ كفّهْ

حياتُهُ الماءُ وهو مِيتَتُهُ

فاعجبْ لشيءٍ حياتهُ حتفهْ

يسيرُ تحتَ اللواءِ معتصماً

بكل حامٍ سِنانُهُ طرفهْ

يكتبُ في نصفه القرانُ ولا

يخلو من الدورِ والغنا نصفُهْ

ألا ياعفيفَ الدين هل أنتَ مخبري

ألا ياعفيفَ الدين هل أنتَ مخبري

بمشكلةٍ لا يَغمِزُ العَجْمُ عُودَها

بمثقلةٍ حملاً إذا مابناتُها

مرتها أرتها الغواني نهودها

كأنَّ أليمَ الهجرِ أجرى دموعَها

ففاضتْ وأذكى فيحشاها وقودها

تباري ثقالَ المعصراتِ بدرها

فما تركتْ للسحبِ إلا رُعودَها

ألا سقيّاني فالظلامُ قد انجلى

وأبدتْ تَباشير الصباح عَمودَها

سَلافاً كأنَّ المسكَ كانَ لِدَنّها

خِتاماً وماءَ الوردِ روَّى صَعيدَها

كم طعنةٍ أنهرها حدُّهُ

كم طعنةٍ أنهرها حدُّهُ

نافذةٍ تنظمُ فيها الكلى

وثلّةٍ صبَّحها بأسهُ

أعدمها الوردَ ورعيّ الكلا

نعم وكم جَهَّزَ من مالِهِ

يتيمةً أنكحَها أرملا

موقفهُ في الفتكِ لا يشتهى

ونارُهُ في الحربِ لاتُصطلى

خبِّروني عن أسمِ جمعٍ وإنْ سئـ

خبِّروني عن أسمِ جمعٍ وإنْ سئـ

ـتَ ففعْلٌ ماضٍ وإنْ شئت حرفُ

كلُّ قلبٍ بقلبهِ مستهامٌ

وهو إنْ خَبَّروا به الصبَّ حتفُ

لأختين صفراوين أصبحتَ واطئاً

لأختين صفراوين أصبحتَ واطئاً

وفي جمعكَ الأُختين إثمُكَ والعارُ

متى تنفردْ إحداهما فهي دهرها

مقصّرةٌ عمَّا تريدُ وتختارُ

كسا شَعَرٌ وجهيْهما وعليهما

فروعٌ بدتْ يسرحنَ والخلقُ أطوارُ

أحاجي وقد أصبحتُ عنها بمعزلٍ

أحاجي وقد أصبحتُ عنها بمعزلٍ

ولم تبقِ لي الأيامُ عقلاً ولا حسا

بعريانَ لولا الريقُ ما راقَ فعلهُ

لهُ هامةٌ مَلمومةٌ ضخمةٌ مَلسا

إذا ما كسَتْهُ أُمُّه مِن لباسِها

أتتْ أختهُ فاستأصلتْ كلَّ ما يكسى

وأُمُّ الطَّلا الوحشيُّ توصفُ باسمِه

إذا خُطَّ لاتصحيفَ فيه ولا عكسا

ولو أنَّ عيباً يَكرهُ الناسُ مثلُهُ

على العين غَشَّى عينَه كشفَ اللبسا

ماسمٌ جميعُ الناس تَهوى قربَهُ

ماسمٌ جميعُ الناس تَهوى قربَهُ

وتُحبهُ من خاملٍ ومسوَّد

هو مفردٌ فإذا حذفتَ أخرهُ

ألفيتَهُ جمعاً لذاكَ المفرد

وإذا عكستَ الجمعَ كانَ اسماً لمنْ

أفعالهُ مشهورةٌ في السؤدَدِ

خبّرْ فديتكَ من أبوهُ طائرٌ

خبّرْ فديتكَ من أبوهُ طائرٌ

إنْ كنتَ تتعلمُ وابنهُ إنسانُ

بينَ الأبوَّةِ والبنوّةِ وهو لا

جنٌّ ولا إنسٌ ولا حيوانُ

أضالعٌ تَنطوي على كَرْبِ

أضالعٌ تَنطوي على كَرْبِ

ومقلةٌ مستهلُّةُ الغربِ

شوقاً إلى ساكني دمشقَ فلا

عَدتْ رُباها مَواطِرُ السُّحْبِ

منازلٌ ما دَعا تَذكُّرُها

إلا ولبَّى على النَوى لُبّي

متى أرى سيدي الموفَّقَ يختا

لُ ضحىً في عراصها الرُّحبِ

يَمشي الهُوَينى وخَلفَهُ عمرٌ

يَختالُ مثلَ المَهاةِ في السِربِ

وسيدي كلّما تأمَّلهُ

تاهَ وأبْدى غَرائِبَ العُجْبِ

تجعمسُ قلَّ منْ يناظرهُ

في الناس إلاَّ تَعَنْفُقُ الرَّحْبي

المدَّعي أنَّهُ بحكمتهِ

علَّمَ بقراطَ صنعةَ الطبّ

وهو لعمْري أخسُّ منْ وطيء الثُر

بَ وأوْلى باللعنِ والسَّبِ

ولو رأيتَ المِطْواعَ ينظرُ في الـ

ـتشريح كيفَ الفَقارُ في الصُلبِ

وكيف مجرى الأنوار في عصب الـ

ـعينِ إذا ما انحدرنَ في الثُقبِ

وإنَّ في لكنةِ ابنِ عونٍ لَمَا

يَشْغَلُهُ عن فصاحةِ العُربِ

ولابنِ نجلِ الدَّجاجِ طولُ يدٍ

تجمعُ بينَ الفُراتِ والضَبِ

بقودُ رضوى إلى عسيبٍ ولا

يُعجُزُهُ ما ارتقى من الهضبِ

ثمَّ أبو الفضلِ مع حماقتهِ

يقطعُ عمرَ النهارِ بالضربِ

والمغزلُ الحنبليُّ مجتهداً

يفتلُ في استِ الثقَّالةِ الكتبي

هذا وكم غادرَ المؤيَّدُ ذا الـ

ـخليطِ بالدبسِ لاثمَ التربِ

ولو أشا قلتُ في المُخلَّع ما

فيهِ وما عفتُ ذاكَ مِن رُعبِ

لكنْ أيادٍ لعروسهِ سلفتْ

عندي وحسبي بذكرها حسِبي

كم عاثَ بالليلِ في الفراش على

كرومِ بستانِ شفرها...

على استها خرقةٌ معلّقةٌ

كطيلسان ابن مكتعِ الحربي

وأسمرٍ كالهلالِ ركّبَ في

غصنِ أراكٍ مهفهفٍ رطبِ

صبا إليهِ عبدُ اللطيفِ ولا

غروَ لذاكَ القوامِ أنْ يصبي

وفي حديثِ ابنِ راشدٍ زَبَدٌ

على لحى سامعيهِ كالشَّبِ

وابنُ هلالٍ إذا تنحنحَ للـ

ـغناءِ يعوي مُشايهَ الكلبِ

حلقٌ وضربٌ يستوجبانِ لهُ

معجَّلَ الحلقِ منه والضربِ

وللنفيسِ الصوفي عنفقةٌ

محلوقةٌ للمِحالِ والكِذْبِ

كلحيةِ المرّ كلّما حلقتْ

نمتْ نموَّ الزُروعِ والعُشبِ

مَعايبٌ حَجبهن يهتِكُها

هتكَ بناتِ الرَقيّ في الحُجبِ

ما إنْ رأينا من قبلهِ ملكاً

يسيرُ في موكبٍ من القحبِ

بَثِبْنَ نحوَ الزُّناةِ من شَبَقِ

كابن زهير البرغوثِ في الوثبِ

ولو تَردَّى النزيهُ مِن حبلٍ

قَباً لأضحى ممزَّقَ القَبّ

والعز عبدالرحيم سيدنا

مُطيْلِسٌ للقضاءِ بالشّرب

يظن رائيه أنه جرذ

مطلع رأسه من الثقب

وخُطبةُ الدَوْلَعِيُ كمْ جلبتْ

للناسِ مِن فادحٍ ومِن خَطَبِ

يؤمهم إذ يؤمهم جنبا"

فليته أمهم على جنب

تَخَشُّعٌ ما وراءَهُ نُسُكٌ

يصدر عن نية ولا قلب

وللمسمى بأمه لقب

مثل أبيه المنعوت من كذب

سَوءٌ كَسوءِ الفاعُوسِ ذي القرنِ والـ

معروف بابن البرادعي المربي

كأنه ضامن ومنزله الحا

نه لو كان ظاهر الشرب

وعن أبي الدار إن سألت فسل

لابن سليمٍ يُنَبئكَ بالخطبِ

له على الباب خادم ووار الـ

ـباب قحابٌ تلقاهُ بالرُّحْبِ

تسحق هذي لهذا فترى

شَهيقَ هذي مِن شهوةِ...

وعِلَّةٌ للبغا مُحَلَّلةٌ

مَعاقِدَ الأزرِ مِن ورا النُّقْبِ

حَمَيْنَ بالنُقبِ عَلْوَهُنَّ وما

حَميْنَ أسفالَهنَّ مِن نَقْبِ

والعسقلاني في عمامته

دلائل عن سخافة تنبي

كأنها فوق رأس قمته

دوارة الحل رخوة الهدب

يُخادعُ اللّهَ في الزكاةِ بألـ

ـفاظ محال لم تأت في الكتاب

ذو طرفين إذا نسبتهما

يَحارُ في ذاك كلُّ ذي لُبّ

فالأُخْتُ والأُمُّ مِن بني شَبَقٍ

و الأب والابن من بني كلبِ

وحين أبصرت دولة الأحدب الفا

ضِلِ أربتْ على عُلا الشُهبِ

تحادبوا فهي دولة الحدبِ

تَبّاً لحكمكَ لا حُرستا

تَبّاً لحكمكَ لا حُرستا

هل أنت إلاّ من حرستا

بَلَدٌ تَجَمَّعَ مِن حِرٍ

واستٍ فصارَ إذنْ حرستا

ابنا الحرستاني في لقبيهما

ابنا الحرستاني في لقبيهما

ضِدُّ الذي نُعِتا به بين المَلا

فَمُهَتَّكُ الأستارِ يُدعى صائِناً

والسِفْلةُ السَّفْلاءُ يُدعى بالعَلا

تَعجَّبَ قومٌ لصفع الرشيدِ

تَعجَّبَ قومٌ لصفع الرشيدِ

وذلك ما زال من دابهِ

رحمتُ انكسار قلوب النعال

وقد دنَّسوها بأثوابهِ

فو الله ما صفعوه بها

ولكنَّهمْ صفعوها به

جانبِ البُطءَ يارشيدُ وعجّلْ

جانبِ البُطءَ يارشيدُ وعجّلْ

فلقد زالَ ذلكَ المحذورُ

ما تبقى على قذالك قطع

تاب سلطاننا ومات المجيرُ

خلقَ الشعرَ مدلويهِ وأهلهُ

خلقَ الشعرَ مدلويهِ وأهلهُ

وأزرى الملقُّ بالصوفيَّهْ

حادَ عن مذهبِ التصوفِ إلاّ

كثرةَ الأكل فيهِ واللوطيَّهْ

جالَ على حجرتهِ مدلويهِ

جالَ على حجرتهِ مدلويهِ

فويهِ منْ أفعالهِ ثمَّ ويهْ

كأنَّهُ الرَّحبيُّ في حمقهِ

فلعنةُ الله على والديهْ

قالوا الرشيدُ بغاؤُهُ مستَحدَثٌ

قالوا الرشيدُ بغاؤُهُ مستَحدَثٌ

كسبوا خطيئته وباؤوا بإثمهِ

ما ذاك إلا عادة مألوفة

طبعا" له مذ كان في بطن أمهِ

كانت غراميلُ الزناة إذا أتت

حرها تلقاها الجنين بسرمهِ

فلذاك يشتاق المني لأنه

منه تركب لحمه مع عظمهِ

قيل لي إن مدلويهِ بن بدرِ

قيل لي إن مدلويهِ بن بدرِ

قتلوهُ بالصفع أشنعَ قتلِ

قلتُ عظَّمتمْ القضيَّةَ في دلـ

ـوِ خليعٍ قد رقَّعوه بنعلِ

حمَّامنا بردها شديدُ

حمَّامنا بردها شديدُ

وما على نتنها مزيدُ

كأن فيها أبا المرجَّى

ينشد ما قاله الرشيدُ

شَكا شِعري إليَّ وقالَ تَهجو

شَكا شِعري إليَّ وقالَ تَهجو

بمثلي عرضَ ذا الكلبِ اللئيمِ

فقلت له تسلَّ فربَّ نجمٍ

هوى في إثرِ شيطانٍ رجيمِ

طوَّلتَ يا دولعي فقصّرْ

طوَّلتَ يا دولعي فقصّرْ

وأنتَ في غيرِ ذا مُقَصّرْ

خطابةٌ كلها خطوبٌ

وبعضُها للورَى مُنُفّرْ

تظلُّ تهدي ولست تدري

كأنَّكَ المَغْرِبي المُفسّرْ

كم ذا التَّبظرمُ زائداً عن حدّهِ

كم ذا التَّبظرمُ زائداً عن حدّهِ

ما كان قبلك هكذا الحدبانُ

فحِرِ امّ ملكٍ أنتَ مالكُ أمرهِ

من أنت يا هذا وما بيسانُ

أظهرت فضل تقىً وفضل تعفف

واللهُ يعلمُ أنَّهُ بُهْتَان

مَا طالَ في اللّيل البهَيم سجُودُهُ

إلاّ ليركع فوقهُ السُّودَانُ

فإذا سمعتَ سمعتَ أمراً مُنكَراً

وإذا رأيتَ رأيتَ لا إنسانُ

حاشا لعبد الرحيم سيدنا الـ

حاشا لعبد الرحيم سيدنا الـ

ـفاضل ممَّا تَقولُهُ السُّفَلُ

وتب من قال إن حدبته

في ظهره من عبيده حبلُ

هذا قِياسٌ في غير سيدِنا

يصح إن كان يحبل الرجلُ

كل ذي أبنةٍ لهُ واحدٌ يعـ

كل ذي أبنةٍ لهُ واحدٌ يعـ

ـلوهُ في حال نيلِهِ إيَّاهُ

وله من عبيده خمسةٌ سو

دٌ كبارٌ أيودُهم أشباهُ

واحد فوقه وآخرُ يحشو

بطليموسِهِ المقوَّم فاهُ

ويداهُ في أصل أيدي ْ غلامـ

ـهِ التذاذاً وآخرٌ لِقفاهُ

ذقنُ عبدِ الرحيم مع شاربيهِ

ذقنُ عبدِ الرحيم مع شاربيهِ

وعذاريهِ في استِ عبد الحيم

وارم بالسَّبِ نجلَ شيثٍ ولا تخْـ

شَ تجدهُ تيساً بقرنٍ عظيم

إذا كلبةٌ ولدتْ سبعةً

إذا كلبةٌ ولدتْ سبعةً

فقفْ واستمعْ أيُّها السائلُ

وإنْ كلبةٌ ولدتْ تسعةٌ

تزاوجنَ فالفاضلُ الفاضلُ

لمَّا تَشكَّى ابن عصرون إليَّ حِمىً

لمَّا تَشكَّى ابن عصرون إليَّ حِمىً

في سفلهِ حارَ فيهِ كلُّ بيطارِ

وقالَ داءٌ عضالٌ قد رُميتُ بهِ

أعْيا وقصَّرَ عنهُ كلُّ مِسْبارِ

طَعَنتُهُ بقويّ المَتنِ مُعتدلٍ

صدقِ الأنابيبِ كالخطيَ خطّارِ

فقالَ لما بدا رمحي يجوبُ فلا

أعْفاجِه مُسئِداً كالمُدلجِ الساري

للّه دَرُّكَ شكراً للصنيعةِ بي

من قابس شيط الوجعاء بالنار

وقر قرت بطنه فانحاز ثم رمى

بسَلْحةٍ خضبتْ بالورس أطماريْ

وقام ينشد عجبا" غير مكترث

لِما عَراني ولمَّا يخشَ مِن عار

فقمت عنه وأذيالي على كتفي

فأشرفت عرسه من شرفه الدار

وأنشدتْ ودموعُ العين ساجمةٌ

في وجنتيها سجوم العارض الساري

"يا نعمةَ اللّه حلّي في منازلِنا

وجاورينا فدتك النفس من جارهِ

فلم أزال عنده جذلان في دعةٍ

مُمَتَّعاً مِن أياديه بأوْطار

حتى انثنت صعدتي عنه وبان له

مني الونى ورأى آثار إقصاري

أضحى يغنّي وأيدي في يديه لقىً

كأنما علَّ من صهباءَ خمَّارِ

"يَاعمرو ما وقفةٌ في رسم منزلةٍ

أثار شوقكَ فيها محوُ كثارِ

لاغروَ أنْ ضاعت الأعيادُ بينكُم

لاغروَ أنْ ضاعت الأعيادُ بينكُم

رفقاً كأنّي بكم ضاعتِ الجمعُ

فليعجبِ الناسُ مِنْ قومٍ يَقودهُم

إلى الضلالةِ أعمى وهو مُتَّبَعُ

قد كذَّبوا ما رأوْهُ وهوَ مُتَّضحٌ

وصدَّقوا مارواهُ وهو ممتنعُ

وقالوا أسعدُ بنُ الياسَ أضحى

وقالوا أسعدُ بنُ الياسَ أضحى

رئيساً لا حوتهُ يدُ السعودِ

ولا أهجو الوجودَ وقد حواهُ

فإنَّ وجودهُ هجوُ الوجودِ

نالَ معالي عمرا

نالَ معالي عمرا

فغاصَ في بحرٍ حرا

وغابَ في غابِ استهِ

جميعهُ فلم يرا

وحادَ عن خلَّتِه

في نيلِ ستِ الوزرا

وإنَّ كلَّ الصيدِ لو

يَعقلُ في جَوفِ الفَرا

ترى فمولايَ الحكيـ

ـمُ ما درى بما جرى

قالوا بلى فما

أحدثَ قالوا غَفَرا

الحمدُ للهِ واجبِ الشكرِ

الحمدُ للهِ واجبِ الشكرِ

قد اهتدى سيدي أبو نصرِ

واتبَّع الحقَّ حين لاحَ له

فجرُ الهُدى من دُجُنَّةِ الفجرِ

وقال إنَّ المسيحَ ليسَ بمعـ

ـبود وأفتى الصليبِ بالكسرِ

فظن حساده معاندة

أمرا وظن الحسود لا يزري

قالوا نِفاقاً وليس يفرُقُ في الإ

سلام بين النفاق والكفر

ما ذاك إلا ستر على عمر

ربَّ انتهاكٍ خيرٌ من الستر

فقلت يا قوم إن في عمر

معذرةً إنْ سمعتُمَ عُذري

شكتْ لهُ أُختهُ لهيبَ حمىً

في حِرها تَستثيرُ كالجمر

وحِكَّةً في نَواتِها كدبيـ

ـبِ النمل لاتَأتلي بها تَسري

وعزَّهُ داؤُها وقد شهدتْ

لهُ رُواةُ الأخبار بالخُبْر

وكانَ هذا يقومُ بالناس في الحمَّـ

ـامِ هذا جَلِيَّةُ الأمر

فجاز هذا الأستاذ أيده الل

ـهُ إليها يوماً مع العصر

وكان قد نام في كلالته

وطاحَ عنهُ الردا ولا يدري

وانساب غرموله ولا دقلٌ

في رأسهِ مثلُ مِيسَمِ البَكر

منهرتُ الشِدق كالحُ الوجه صُلْب الـ

متن صعبُ المِراس مُستشري

فقالَ هذا يكونُ ممتهناً

مضيّعاً لا رضى عن الدهرِ

ولم يزلْ بالمِحالِ يَخدعُهُ

حتى أتاها بهِ على قدرِ

وربَّ أخٍ حميمٍ بتُّ ليلي

وربَّ أخٍ حميمٍ بتُّ ليلي

أجرَّعُ من ملامتهِ الحميما

يقولُ عَلامَ مِن غيرِ اجترامٍ

هجوتَ موفقَ الدينِ الحكيما

فقلتُ له تأنَّ فغيرَ عدلٍ

إذا ما لامَ مَن سَلِمَ السليما

شكوتُ إليهِ مِن كانونَ قُرّاً

أبيتُ لِضُرّهِ أرعى النجوما

فما ألوى عليَّ وقالَ خَلطٌ

يزلُ إذا تجنَّبتَ اللُّحوما

فقضَّيتُ الشتاءَ كما تَقَضَّى

شا البرغوثِ في ذقنِ ابنِ سيما

وحاجةٍ ظلتُ أشكوها إلى عمرِ

وحاجةٍ ظلتُ أشكوها إلى عمرِ

وقد ترقرقَ دمعُ العين ينحدرُ

فقال ذو فطنةٍ نبَّهْ لها عمراً

فقلتُ واخَيبتي إن لم ينمْ عمرُ

ولا تودعْ متاعكَ عندَ عدلِ

ولا تودعْ متاعكَ عندَ عدلِ

ولاسيما إذا كان ابنَ سيما

فكم أودعتهُ أيداً شديدَ الـ

ـقوى فأعاده نضواً سقيما

دخلتُ على ابن الشهر زرويّ ليلةً

دخلتُ على ابن الشهر زرويّ ليلةً

وقد أُغلقتْ دون الوزير المَغالِقُ

فعاينتهُ ولهانَ يرطلُ فيشةً

وينشدها والخدُّ بالدمع غارقُ

"وماذا عسى الواشونَ أن يتحدَّثوا

سوى أنْ يقولوا إنني لكِ عاشقُ

نعمَ صدقَ الواشونَ أنتَ حبيبةٌ

إليّ وإنْ لم تصفُ منكِ الخلائقُ"

بكرَ الخليطُ إلى اللعين يعودهُ

بكرَ الخليطُ إلى اللعين يعودهُ

إذ باتَ مِن حُمَّى الأكفّ نَهيكا

فرآهُ منتوفَ السّبال مذمَّمَ الـ

آباءِ مصفوعَ القَذال مَبيكا

فبكى ورقَّ لهُ وقالَ مُسلّياً

لكَ في مُصابكَ أسوةٌ بأبيكا

أبْشِرْ حكَيتَ أباكَ في أفعالهِ

وأظنُّ نجلكَ بعدَها يَحكيكا

فأجابهُ المرءُ اللعينُ بقولهِ

الحقُّ لا يسليكَ مثلُ أخيكا

إلى لحيةِ المرءِ اللعين ارتقتْ يدٌ

إلى لحيةِ المرءِ اللعين ارتقتْ يدٌ

لها في صعود الحادثاتِ سعودُ

وقد أصبحتْ مثلَ القرى اللائي أهلكتْ

قديماً فمنها قائمٌ وحَصيدُ

مالي أرى اللعينَ قد اختفى

مالي أرى اللعينَ قد اختفى

هذي جناياتُ اليودِ على القفا

وسمتْ تواسيمُ الحبيبِ جبينهُ

والصفعُ خيرٌ للمحبِ من الجفا

عبثتُ بهامتهِ النعال فما انثنتْ

حتى انثنى من وقعهنَّ على شفا

فغدا يُكتّمُ أمرَهُ ومُصابَهُ

طمعاً بأنْ يَخفى وقد بَرِحَ الخَفا

هيهاتَ أنْ يَخفى مُصابُكَ بعدما

خطَّ المداسُ على جبينكَ أحرفا

لا كانَ عشقٌ لا يصكُّ لعاشقِ

لا كانَ عشقٌ لا يصكُّ لعاشقِ

بالنعلِ فيهِ هامةٌ وأخادعُ

لا تحسبنَّ يامرُّ أنَّكَ أوَّلٌ

في صفعه ما أنتَ إلاَّ رابعُ

أصبحَ صفعُ المُرتضى

أصبحَ صفعُ المُرتضى

بينَ الأنامِ مرتضى

وكانَ مندوباً فأضـ

ـحى واجباً مفترضا،

يا تاجَنا قد أتتكَ مسألةٌ

يا تاجَنا قد أتتكَ مسألةٌ

فاكشف لنا ما بها من اللبسِ

حرابدبسٍ قد لقَّبوكَ وما

أراكَ إلاَّ حرا بلا دبسِ

يا خليطاً بالدبسِ أقصرْ عن الشـ

يا خليطاً بالدبسِ أقصرْ عن الشـ

ـرّ فقد قيلَ رابحُ الشر خاسرْ

وترفَّقْ بالجندِ فالجندُ آبا

ؤكَ إنْ صحَّ أنكَ ابنُ عساكرْ

يا ابنَ العساكر إنْ صحَّ انتسابكَ ذا

يا ابنَ العساكرِ إنْ صحَّ انتسابكَ ذا

فأنتَ من أممٍ صورتَ مسبوكا

يا ابنَ الدجاجةِ كلُّ الناسِ كانَ لها

ديكاً فأنتَ ابنُ من حتى أناديكا

أبا البركاتِ ما جعلتَ يقيناً

أبا البركاتِ ما جعلتَ يقيناً

لكَ البركاتُ إلاّ في القرون

كريمٌ مالهُ أبداً مصونٌ

وجملةُ عرضهِ غيرُ المَصون

لقّبوه الحرا بدبسٍ وقد ما

لقبوه الحرا بدبسٍ وقد ما

نوا ورَّ العبادِ ما فيهِ دبسُ

وأخوهُ الحرا بزيتٍ ولا زيـ

ـتَ فكلُّ الألقابِ زُورٌ ولبْسُ

وغدا المرتضى نهيكاً من الصَّفـ

ـع وقد خابَ فيه ظنٌّ وحَدْسُ

وأخوهمْ للعلمِ بالدرسِ مشغو

لٌ وللعِلمِ منهُ مَحوٌ ودرسُ

وأبوهم هم هكذا كانَ لا كا

نَ فمن تلقَ منهم فهو نحسُ

هؤلاء الصدورُ أدبرُ من دبـ

ـرٍ وأردى رذالةً وأخَسُّ

يا واعظ الناس ماتَنفكّ مِن تعبٍ

يا واعظَ الناس ماتَنفكّ مِن تعبٍ

معذَّباً بين إنعاظٍ وإفلاس

ما كانَ أغناكَ عن إلحافِ مسألةٍ

لو كانَ في استِ نصيرٍ داءُ عبَّاس

لنا أميرٌ قرنُهُ

لنا أميرٌ قرنُهُ

ينطحُ في الأفق الفَلَكْ

سِبالُهُ وذقنُهُ

تدخلُ في استِ امّ بلكْ

عطاؤهُ وطعنهُ

ما غيرَ دقّ بالحنكْ

فهو الدُّباني أبداً

في أيَّما جيشٍ سلكْ

كأنَّهُ في قلعةِ الـ

ـبيرةِ صيَّادُ السمكْ

جاءَ الشتاءُ وليسَ عندي جُبَّةٌ

جاءَ الشتاءُ وليسَ عندي جُبَّةٌ

فطفقتُ أطلبُ دارَ بدر الدين

فتصحَّفتْ لمَّا فَراها حَبَّةً

فبدا يواصلُ زفرةَ بأنين

وشكا نياطَ فؤادهِ وحرارةً

في قلبهِ تربي على سجّين

وغدتْ فرائِصهُ تهزُّ كأنَّها

سعفٌ عرتهُ الريحُ في تشرين

ينسى فيسكنُ ما بهِ وتعودهُ الـ

ـذكرى فيصرعُ صرعةَ المجنون

فشكرتُ ربي لو قراها جبَّةً

لقتلتهُ عمداً بلا سكين

وخرجتُ أمشي القَهقَرى مُتستّراً

بقرون حاجبه الزكي ابن القيني

بدران منكسفان مِن ضوءِ السُّها

بدران منكسفان مِن ضوءِ السُّها

لا ذاكَ مودودٌ ولا هذا حسنْ

اثنان قد تركتْهما عِرساهُما

ذا أيّلاً سامي القرون وذا رسنْ

خانا فلو حكما على عين امريءٍ

سَرقا بمكرهما من الجفن الوسنْ

فسألتُ هل لكما قرينٌ ثالثٌ

قالا نعم عرّج على قاضي اليمنْ

البغلُ والجاموسُ في جدليهما

البغلُ والجاموسُ في جدليهما

قد أصبحا مثلاً لكل مناظر

بَرزا عشيَّةَ ليلةٍ فتناظرا

هذا بقرنيهِ وذا بالحافر

ماأحكما غيرَ الصياح كأنَّما

لَقِنا جِدالَ المرتضى بن عساكر

جلفان ما لهما شبيهٌ ثالثٌ

إلاَّ رقاعةُ مدلويهِ الشاعر

لفظٌ طويلٌ تحتَ معنىً قاصرٍ

كالعقل في عبدِ اللطيفِ الناظر

لو أنَّ لي بغلاً إلى

لو أنَّ لي بغلاً إلى

جَدّ النظامِ ينتسبْ

أنفتُ مِنْ تحميلهِ

على عيالِ المحتسبْ

أبلغْ رسالتي الصفيَّ وقلْ له

أبلغْ رسالتي الصفيَّ وقلْ له

كيفَ استحالَ صفاؤُهُ وتكدَّرا

يا مُعرضاً ما وُدُّهُ وصفاؤُهُ

لِوليّه ممَّا يُباعُ ويُشترى

كيفَ اشتغلتَ بخادمٍ عن خادمٍ

ما جرَّ جرماً في هواكَ ولا افترى

ومتى الخلاصُ وقد وردتَ مواردا

هيهاتَ عن بحرانها أنْ تصدرا

لو كانَ عرسكَ لانتظرتَ طلاقها

أو أمرداً لرجوتُ أن يتعذَّرا

ما إنْ مدحتُكَ أرتجي لكَ نائلاً

ما إنْ مدحتُكَ أرتجي لكَ نائلاً

فحرمتَني فهجوتُ باستحقاق

لكنَّني عَايْنْتُ عرضَكَ أسوداً

متمزّقاً فقدحتُ في حُرَّاق

رأيتُ عندَ المِطواع ميلاً

رأيتُ عندَ المِطواع ميلاً

في طول شبرٍ وعرض فترْ

فقلتُ هذا لأيّ عينٍ

فقال هذا لعين ظهري

يا هبةَ اللهِ لقد

يا هبةَ اللهِ لقد

ماتَ المسمّي وافترى

يكذبُ في لحيتهِ

ما يهبُ اللهُ حرا

ما عند مَودودَ مَن قلَّتْ مثالِبُهُ

ما عند مَودودَ مَن قلَّتْ مثالِبُهُ

إلاّ المبارزُ إبراهيمُ نائبهُ

ومِنْ سواهُ فكلبٌ لا خَلاقَ لهُ

قد أعجزتني فما تحصى معايبهُ

المستشارُ عفيفُ الدين قد دميتْ

يدي على لومهِ ممّا أعاتبهُ

وابنُ النُفايَةِ والتيسُ الشريفُ وجَعـ

ـسُ الكلبِ مُشرفُهُ والعِلقُ كاتبهُ

والأقلفُ الكلب رأس الأمر صاحبُ ديـ

ـوان الأميرِ وجابيهِ وحاسبهُ

والأحمقُ الجاهُلكرديُّ يسألُ في حبسِ

العقيبةِ عن علق يداعبهُ

قومٌ لهم لو انهم في خدمةِ الفلكِ الأ

على لخرَّتْ بهم منهُ كواكبهُ

وليلٍ كوجهِ الزَّاغِ برداً وظلمةً

وليلٍ كوجهِ الزَّاغِ برداً وظلمةً

وطولاً كقرنيْ يونسٍ وأبي خضرِ

عدمتُ الكَرى فيه وطولَ هُجوده

كما عدمَ العقلَ البَها بنْ أبي اليُسرِ

صعدَ الدينُ يستغيثُ إلى اللـ

صعدَ الدينُ يستغيثُ إلى اللـ

ـهِ وقالَ الأنامُ قد ظلموني

يتسمَّونَ بي وحقُّكَ لا أعـ

ـرفُ شَخصاً منهم ولا يَعرفوني

جَعَلوا ابنَ المصريّ تاجي ولو كا

نَ شِراكاً للنعل لم يُنصفوني

ثمَّ قالوا البكريُّ صدري كما قا

لوا وقالوا ووجهيَ الزنكلوني

أرى الناسَ لا يَرقى إلى المجدِ منهمُ

أرى الناسَ لا يَرقى إلى المجدِ منهمُ

سوى ناقصٍ في الأضالع

فمن شكَّ فيما قلتهُ فقياسهُ

على معشرٍ بنفونَ شكَّ المنازع

سليمانَ والجاموسِ والصدرِ وابنِه

وأصهارهم والناصِحَين وجامع

قد أصبحَ الرزقُ ما لهُ سببُ

قد أصبحَ الرزقُ ما لهُ سببُ

في الناسِ إلاَّ البغاءُ والكَذِبُ

"سلطاننا أعرجٌ وكاتبهُ

ذو عمشٍ والوزيرُ منحدبُ"

وصاحبُ الأمرِ خلفُهُ شَرِسٌ

وعارضَ الجيشِ داؤهُ عجبُ

يبيتُ من حكَّةٍ تؤرِّقهُ

في دبره كالسَّعيرِ تَلتَهبُ

وحاكمُ المسلمينَ ليسَ لهُ

في غيرِ غرمولِ أسودٍ أربِ

والدَّوْلعيُّ الخطيبُ معتكفٌ

وهو على قشرِ بيضةٍ يثبُ

ولابنِ بَاقَا وعظٌ يغُرُّ بهِ النا

س وعبدُ اللطيَف مُحَتِسُب

عيوبُ قومٍ لو انَّها جمعتْ

في فلكٍ ما سرتْ بهِ شهبُ

آلَيْتُ لا آتي بُخارى بعدَها

آلَيْتُ لا آتي بُخارى بعدَها

ولو كنَّها في الأرضِ دارُ خلودِ

فلقدْ حللتُ بها حنيفاً مسلماً

ورحلتُ عنها باعتقادِ يهودي

إنَّ ابنَ عروةَ حينَ سوَّدَ بالزنا

إنَّ ابنَ عروةَ حينَ سوَّدَ بالزنا

وجْهَيْ صَحِيفتِهِ وبيَّضَ مسجدا

كمقامرٍ أدَّى الزَّكاةَ مُرائياً

للناسِ لا يرجو مثوبتها غدا

الواعظُ البَلخيُّ كانَ قرابَتِي

الواعظُ البَلخيُّ كانَ قَرابَتِي

وأبو محمدٍ المنادي جاري

والزاهدُ الملاَّقُ مَنْ أخبارُهُ

ما قد علمتُ خفيَّةُ الأسرار

لولا الحياءُ وطيبُ أصلي والتُّقى

لجعلتُها مهتوكةَ الأستار

أتاكَ النجيبُ بأشعارِهِ

أتاكَ النجيبُ بأشعارِهِ

هوا لبعرُ لكنَّهُ مذهبُ

ويَحلفُ باللّهِ ما قصدهُ

نوالاً ولكنَّهُ يكذبُ

قلْ للنَّجيبِ صرمتَ حبلَ مودَّتي

قلْ للنَّجيبِ صرمتَ حبلَ مودَّتي

مللاً وقلبي في ولائكَ مخلصُ

أغضبتَ حينَ جعلتُ شعركَ مذهباً

وكذبتُ فهو كما علمتَ مرصَّص

اثنان في الجامع المعمور ليسَ على

اثنان في الجامع المعمورِ ليسَ على

كلِ البريَّةِ ِ في صفعيهما حرجُ

هذاكَ قد أنِفَ الفُسَّاقُ منه وذا

تُتْلى عليهِ مساويهِ فيبتَهجُ

قلْ للنجيبِ ولا تعبأ بلحيتهِ

قلْ للنجيبِ ولا تعبأ بلحيتهِ

وإنْ تعاظمَ بالكنديّ وافتخرا

كم ذا التَّبظرمُ جزتَ الحدَّ صفعنةً

ما أنتَ إلاّ قليلَ العقل ذقنُ حرا

وكَّلتِ الكنديَّ مولاتُنا

وكَّلتِ الكنديَّ مولاتُنا

فضلَّتِ القصدَ وساءتْ سبيلْ

فقلْ لهُ كفَّ ولا نأتلي

فعمرُ أيَّامكَ فيها قليلْ

وقد كفيتَ الدهرَ في صَرفِهِ

فحسبها أنتَ وبئسَ الوكيلْ

وراحلٍ سرتُ في صحبٍ أؤملهُ

وراحلٍ سرتُ في صحبٍ أؤملهُ

تَبارك اللّهُ ما أشقى المساكينا

جئنا إلى بابهِ لاجينَ نسألهُ

فليتنا عاقَنَا موتٌ ولا جينا

لاجينَ نسألُ مَيْتاً لاحَراك به

مثلَ النصارى إلى الأصنامِ لاجينا

تَيمَّمتُ سعدَ اللّهِ للفألِ باسمهِ

تَيمَّمتُ سعدَ اللّهِ للفألِ باسمهِ

وقلتُ كريمٌ بينَ موسى ومريم

فألفيتُهُ يَهوى النَّدى فَتَردُّهُ

عروقٌ إلى أخوالهِ الزرق تنتمي

إذا أيقظتهُ نخوةٌ عربيةٌ

إلى المجدِ قالتْ أرمنيَّتهُ نم

فباتتْ قوافي الشعرِ بين أضالعي

تجيشُ وأمواجُ الأراجيز ترتمي

أهمُّ ويعتاقُ اللسانَ عن الخَنا

وعن ذكرهِ بالسوءِ إحسانُ مسلم

فتىً عربيُّ الخالِ والعمّ طاهرُ الأ

رومةِ والأخلاقِ والفرجِ والفم

تَيمَّمتُ سعدَ اللّهِ للفأل باسمهِ

تَيمَّمتُ سعدَ اللّهِ للفأل باسمهِ

لم آتِ سعدَ اللهِ لو كانَ لي عقلُ

وقلتُ فتىً من دَوْحة عربيةٍ

تشابهُ منها الفرعُ في الطيبِ والأصل

ولم أدرِ أنَّ الأرمنيةِ ظئرهُ

وفي الأرمنياتِ النجاسةُ والبخلُ

أظلَّ كمرتَدّ عن الدين عاكفاً

ألازمهُ ما لي سوى شغلهُ شغلُ

أروحُ 'ليهِ بالسلامِ وأغتدي

إلى بابهِ واليومُ في مهدهِ طفلُ

فما كنتُ إلا مستظِلاً بعشبَةٍ

من الشوكِ ما فيها جنىً لي ولا ظلُّ

لا غروَ أنْ أصبَحَ المؤيَّدُ بيـ

لا غروَ أنْ أصبَحَ المؤيَّدُ بيـ

نَ الناسِ صبّاً مولّهاً بعمرْ

سلمانُ بيتِ العميدِ يعذرُ في الـ

ـسوءِ وإنْ أحسنوا إليهِ شكرْ

مآربُ الكل فيهُ تبصرهم

إلى لقاهُ في حرقةٍ وضجرْ

يصبحُ تحتَ الرجال مفترشاً

أنثى ويمسي فوقَ النساءِ ذكرْ

كم حمَّلوهُ مِن ثقلِ عِبئهمُ

رزيَّةٌ مشمخرَّةً فصبرْ

وهو فتيقُ العجانِ منخرقُ المبـ

ـعرِ ما فيهِ للمني مقرْ

وهو متى علَّهُ رجلهمُ

أنهَلَ منهُ نساؤُهمْ وصَدَرْ

رأيتُ سليمانَ الدَّعيِّ معرَّضاً

رأيتُ سليمانَ الدَّعيِّ معرَّضاً

لرفعِ أكفٍ ما لها عنهُ من كفِّ

فما راحةٌ إلاَّ لها فيهِ راحةٌ

كأنَّ قفاهُ مشهدُ الكفّ للكفِّ

كحلُ الشريفِ مُقاربٌ

كحلُ الشريفِ مُقاربٌ

كم ناظِرٍ قد أغمَضا

تَلقى الدَّوَا بيمينِهِ

وشمالُهُ تُعطي القَضا

سليمانُ السُّليمانيُّ يَبغُو

سليمانُ السُّليمانيُّ يَبغُو

ويصفعُ دائماً في أخدعيهِ

يَرومُ تطببَ الأبصارِ جهلاً

وكيفَ وَدَاؤَهَا نظرٌ إليهِ

يُصافي بالمودَّة ِ كلَّ نَذْلٍ

شبيهٍ بالنزيهِ ومدلويهِ

ولكنْ ليسَ هذا منهُ بدعاً

"فشبهُ الشيءِ منجذبٌ إليهِ"

سألتُ السديدَ الفاضليِّ وقد بدا

سألتُ السديدَ الفاضليِّ وقد بدا

هزالٌ بعدَ شدة ٍ أسرهِ

أكنتَ مريضاً قالَ كلاَّ وإنما

تخيَّرني عبدُ الرحيمِ لسرّهِ

فقلتُ لهُ إنَّ القِطَمَّ اختيارُهُ

لأوضعِ فحلٍ من تَفاقُمِ أمرهِ

ولكنَّهُ حقٌّ على اللهِ وضعُ من

تَرافعَ جهلاً أو عَلا فوقَ قدرهِ

وهبْ أنَّ ما يعزى إليهِ مصدَّقٌ

وأنَّكَ قد أقررتَ فينا بإمرهِ

فما هذهِ ما بينَ ثدييكَ قالَ لي

تَقعُّرُ صدري مِن محدَّبِ ظهرهِ

سألتُ الرئيسَ أبنَ المؤيَّدِ مرَّةً

سألتُ الرئيسَ أبنَ المؤيَّدِ مرَّةً

مجدّاً بهِ في زيّ من راح يلعبُ

بأيّ الخِلال المغربيُّ إليكمُ

تَرقَّى وما فيهِ خِلالٌ تُحبّبُ

فقالَ ولم يُبدِ احتشاماً ولا حياً

بوجهٍ وقاحٍ وهو في الضحكِ يُغربُ

لهُ فَضلةٌ في جسمِه عن إهابهِ

تجيءُ كما جاءَ الأتيُّ وتذهبُ

دِحْيةُ لم يُعقبْ فكم تَنتمي

دِحْيةُ لم يُعقبْ فكم تَنتمي

إليهِ بالبهتانِ والإفكِ

ما صحَّ عندَ الناسِ شيءٌ سوى

أنَّكَ مِنْ كلبِ بلا شَكّ

يا مليكَ الدنيا الذي أعظمَ اللـ

يا مليكَ الدنيا الذي أعظمَ اللـ

ـهُ بتأييدِ عزّهِ سلطانهْ

أنا أشكو إليكَ جَورَ رَقيعٍ

لقَّبوهُ الصَّفعانَ تاجَ الخزانهْ

عدمَ العقلَ والمروءةَ والإحـ

سانَ والدينَ والحيا والأمانهْ

وحَوى اللؤمَ والرقاعةَ والخِـ

سّةَ والجهلَ والخنا والخيانهْ

يزعمُ التيسُ أنني خالهُ الأد

نى تناهى في السبِ لي والإهانهْ

زعموا أنَّهُ خفيظٌ على الما

ل أمينٌ قلتُ اسكتي يافلانهْ

أرى يحيى تعرَّضَ لي بسوءٍ

أرى يحيى تعرَّضَ لي بسوءٍ

تعرُّضَ عقربِ ولعتْ بحيَّهْ

أيطمعُ أنني أهجوهُ كلاَّ

كفاني أنْ يقالَ أخر رقيَّهْ

مالُ ابن مازةَ دونهُ لعفاته

مالُ ابن مازةَ دونهُ لعفاته

خرطُ القتادِ أو منالُ الفرقدِ

مالٌ لزومُ الجمع يمنعُ صرفهُ

في راحةٍ مثلُ المنادَى المفردِ

حديثَ المبارز مني اسألوا

حديثَ المبارزِ مني اسألوا

أُنَبّئكمُ بأحاديثِهِ

نزلنا عليهِ فلم يَقرنا

وبتنا قرىً لبراغيثِهِ

لاغَرْوَ أنْ نالَ اللئيمُ بهجوهِ

لاغَرْوَ أنْ نالَ اللئيمُ بهجوهِ

منّي مَنالاً لم تَنَلهُ كِرامُ

كم مِن دمٍ أردى الكماةَ مرامُهُ

يومَ الوَغى وأراقَهُ الحَجَّامُ

قيلَ إذا التاجُ عليٍّ خلا

قيلَ إذا التاجُ عليٌّ خلا

مع الكمالِ الجاهلِ الأحمقِ

تألفتْ من خبثِ فعليهما

قضيَّةٌ مِن جهةِ المنطِقِ

موضوعها التاجُ فإنْ حاولوا

بها طريقَ العكسِ لم تصدُقِ

ماكلُّ مَن يَتسمَّى بالعزيز لها

ماكلُّ مَن يَتسمَّى بالعزيز لها

أهلٌ ولاكلُ برقٌ سحبُهُ غَدِقَهْ

بين العزيزَيْنِ بَونٌ في فِعالِهما

هذاكَ يُعطي وهذا يأخذُ الصدقهْ

ودار كريمٍ بتُّ فيها على الطوى

ودارِ كريمٍ بتُّ فيها على الطوى

خميصَ الحشا أشكو المجاعةَ والقرّا

فلما بدا ضوءُ الصباح لناظِري

خرجتُ وقد أوسعتُ صاحبَها شَكْرا

لُمْنا ابنَ شيثٍ وقلنا في ملامتِه

لُمْنا ابنَ شيثٍ وقلنا في ملامتِه

أسرفتَ في حبِ إبراهيمَ فاقتصدِ

وجهٌ كريهٌ وأخلاقٌ مذمِّمةٌ

فما علمناهُ محبوباً إلى أحدِ

فقالَ والشوقُ يُبكيهِ ويُضحكهُ

لا تعذلوني فهذا بيضةُ البلدِ

بعين قلبي أراهُ لاأعيُنِكمْ

ذروا ملاميأما فيكم أخو رشدِ

"لقدْ لمستُ مُعرَّاهُ فما وقعتْ

مما لمستُ يدي إلا على وتدِ

قد فسدتْ صنعةُ ابن شيثٍ

قد فسدتْ صنعةُ ابن شيثٍ

منذُ أزاحوهُ عن قمامهْ

كانتْ بواتيقهُ النصارى

وكانَ إكسيرهُ القمامهْ

وقد تولَّى ابنُهُ عليها

ما أشبهَ الفرخَ بالحمامهْ

ودلٍّ على الأخلاَءِ مغترٍّ

ودلٍّ على الأخلاَءِ مغترٍّ

بإكرامِهِمْ لهُ واحترامِهْ

سَدَّ بابَ الحياءَ منهُ فلا يَلـ

ـقى صديقاً إلاّ بقبح احترامهْ

واغلٌ وارشٌ نماهُ طفيلٌ

أرْشَمٌ قد مَلِلْتُ مِن إبرامِهْ

يتشكّى إليَّ رقّةَ حالٍ

أسقَمتْهَ وغَيَّضَتْ من عُرامِهْ

يطلبُ البُرْءَ مِن مريض الأيادي

غرَّهُ ما رآهُ من أورامهْ

مِثْلُهُ بل يَفوقُهُ في التكدّي

بل يراهُ شرارةُ من ضرارهْ

إذا امتطى الجوزيُّ أعوادَ منبرٍ

إذا امتطى الجوزيُّ أعوادَ منبرٍ

وظلَّ يناغي الفاجراتِ ويستخذي

فلا امرأةٌ إلاّ وبادٍ وداقها

ولا رجل إلاّ وغرمولهُ يمذي

لا تظنَّ الجوزيَّ يصدقُ في الرؤ

لا تظنَّ الجوزيَّ يصدقُ في الرؤ

يا فما الأمرُ مثلَ ما يدَّعيهِ

كَسَدَ العلقُ في دمشقَ فأضحى

يستميلُ القلوبَ بالتمويهِ

كيفَ يَرضى النبيُّ يلثمُ منهُ

خاتماً تبصقُ البريَّةُ فيهِ

إنَّ الجوزيّ في المسجدِ الجا

إنَّ الجوزيّ في المسجدِ الجا

مع واعظٌ مزهّدٌ في الدين

كلما غازلتهُ منه فتاةٌ

ماسَ عُجْباً وأرسلَ الزنكلوني

إذا ما ذمَّ فعلُ يوماً

إذا ما ذمَّ فعلُ يوماً

فإني شاكرٌ فعلَ النياق

أرادَ اللّهُ بالحُجَّاج خَيراً

فثبَّطَ عنهمُ أهلَ النِفاق

في دولةِ الملكِ المعظَّم خمسةٌ

في دولةِ الملكِ المعظَّم خمسةٌ

لا يؤمنونَ على قشورِ الطحلبِ

صهرُ المكرَّم والمكرَّمُ وابنُهُ

و الحاكمُ المصريُّ وابنُ التنَّبي

للهِ درُّ نزيهِ الدين من رجلِ

للهِ درُّ نزيهِ الدين من رجلِ

ما رأيهُ في الرزايا واهنٌ أفنُ

مازالَ يَسقي بنَوءِ الدلوِ صاحِبَهُ

حتى انثنى وهو لاعينٌ ولا أذنُ

فقلتُ أدعو سليمانَ الدَّعيَّ وقد

حلَّتْ من النعلِ في أوداجهِ محنٌ

"جهلاً علينا وجنباً عن عدوكمُ

لبئستِ الخَلَّتان الجهلُ والجُبن"

مصحفُ عثمانَ صاحَ من حنقِ

مصحفُ عثمانَ صاحَ من حنقِ

رافعُ قدري مابالُهُ خَفَضَهْ

الزنكلونيُّ صار يَخدمني

ياربّ عجّلْ بالفأر والأرَضَهْ

والله ما بي انحطاطُ منزلتي

وإنما بي شماتةُ الرَّفَضَهْ

تشكَّى المؤيدُ من صرفهِ

تشكَّى المؤيدُ من صرفهِ

وذمَّ الزمانَ وأبدى السَّفهْ

فقلتُ لهُ لاتَذمُّ الزمانَ

فتظلمَ أيَّامَهُ المُنصفَهْ

ولا تغضبنَّ إذا ما صرفتَ

فلا عدلَ فيكَ ولامعرفهْ

هذا ابنُ هرونَ الذي

هذا ابنُ هرونَ الذي

في عصرنا لا يفلحُ

يبيعُ مسكاً أذفراً

بيعُ الحراءِ أربحُ

لا عادَ في حلبٍ زمانٌ مرَّ لي

لا عادَ في حلبٍ زمانٌ مرَّ لي

ماالصبحُ فيهِ من المساءِ بأمْثَل

سِيَّان في عرصاتها رأدُ الضُحى

عندي ودَيجُورُ الظلامِ المُسْبَل

في معشرٍ لعَنوا عتيقاً لاسُقُوا

صوبَ الغمامِ ومعشرٍ لعنوا علي

قومٌ عهودُ رجالهم محلولةٌ

أبدً وعهدُ نسائهم لم يحلل

مِن كلّ مائسةِ القوامِ رشيقةٍ

رُودِ الشبابِ كدميةٍ في هيكل

خطيةِ الخطواتِ يثني قدَّها

مرحٌ فيهزأُ بالوشيجِ الذُبَّل

وإذا علاها راكبٌ رقصتْ بهِ

رقصَ القَلوص براكبٍ مستعجل

ومقطِّع الرماج ليسَ لدائهِ

راقٍ وأعيا الداءَ داءُ السفل

ما زالَ ينتفُ شعرَ خديهِ إلى

أنْ أصبحتْ وجناتهُ كالمنجل

ولسوفَ أعربُ عن غريبِ صفاتهم

مستأنفاً مافاتَ في المستقبل

بقلائدٍ ما أُنشدتْ في محفلٍ

إلاَّ وكانت عُقْلةَ المستعجل

شعرٌ يقطِّعُ بالنعال أخادعَ الأ

عشى ويحرا في عوارض جَرْوَل

ولمَّا رأينا المغربيَّ بخدمةِ الـ

ولمَّا رأينا المغربيَّ بخدمةِ الـ

ـمؤيدِ مثلَ الراهبِ المتبتِّل

وأخلقَ فيها عمرهُ فكأنَّهُ

"قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل"

سألناهُ هلْ في ظلهِ لكَ مَرتعٌ

"وهلْ عندَ رسمٍ دارسٍ من معوَّل"

فقال أنا المسدي إليه تفضُّلي

وكم مِن يدٍ لي عندهُ وتَطوُّل

أسُدُّ إذا استدبرتُهُ منهُ فُرجةً

"بضاف فويق الأرض ليس بأعزل"

وأشفي غليلاً منه عزَّ شفاءه

"بمنجردٍ قيد الأوابد بكلكل"

وباتَ" كخذروفِ الوليدِ أمَرَّهُ

تتابع كفَّيهِ بخيطٍ موصل"

وجادَتْهُ أنواعُ الحَوايا فأنزلتْ

عليه من الأمشاج كل منزل

بدا رأسُهُ بعدَ العُثُوّ كأنَّهُ

"مِن السيل والغُثَّاءِ فَلكةُ مِغْزل"

كأن دم الأعفاج من فوق متنهِ

"عُصارةُ حِنَّاءٍ بشيبٍ مُرَجَّل"

ولكنَّني إنْ رُمْتُ إتيانَ عِرسِه

"تَمتَّعتُ مِن لهوٍ بها غيرَ مُعْجَل"

وكم ليلةٍ قد بتُّ جَذلانَ بينَهُ

"وبين هضيم الكشح ريا المخلخل"

"مِكَرّ مِفَرّ مُقبلٍ مدْبرٍ معاً

كجلمودِ صخرٍ حطَّهُ السيلُ من عل"

"فَعادى عِداءً بين ثَوْرٍ ونعجةٍ

دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل"

ظننتُ سليماناً جَواداً يهزُهُ

ظننتُ سليماناً جَواداً يهزُهُ

مديحي وتستجدى بسحري مواهبهْ

رأيتُ لهُ زيَّ الكرامِ فغرَّني

كما غرَّ آلُ موَّهتهُ سباسبهْ

دخلتُ عليهِ وهو في صحنِ دارهِ

على سدَّةٍ نصَّتْ عليها مراتبهْ

فلما رى ني قيلَ من قالَ شاعرٌ

أتى مادحاً فازورَّ للسخطِ جانبُهْ

وأقبلَ يستكفي وسبَّ عبيدهُ

وفاضتْ مآقيهِ وعزَّاهُ كاتبُهْ

فأنشدتُهُ شعراً تخيَّرتُ بحرَهُ

فرقَّتْ معانيهِ وراقتْ مذاهبهْ

بديعاً كروضٍ حالفتْهُ يدُ الحَيا

فما أقلعتْ حتى استنارتْ كواكبُهْ

ولازمتُهُ عامَين عَاماً مسلَّماً

إلى البابِ أحياناً وعاماً أواظبهْ

وبالغتُ في الشَّكوى وعرَّضتُ بالهجا

وصرَّحتُ حتى أعجزتني مثالبهْ

فما كانَ إلاّ صخرةً لا تلينها الـ

ـرُّقاةُ وطوداً لاتَميلُ جوانبُهْ

وألححتُ حتى صرَّحَ الشعرُ قائلاً

أرحني فما ترجو بميّتٍ تخاطبهْ

ولا تغترر من بعدها بحماقةٍ

وإنْ عظُمتْ قد يظلمُ التيسَ حالبُهْ

إذا المرءُ لم يشرفْ بنفسٍ كريمةٍ

وأصلٍ فما تَعلو بجاهٍ مراتبُهْ

فما زادَ قدرُ القردِ حينَ استخصَّهُ

يزيدُ ولا حطَّ الحسينَ مصابِيهْ

سأرحلُ عن بغدادَ في طلبِ الغنى

سأرحلُ عن بغدادَ في طلبِ الغنى

إلى بلدةٍ

إلى بلدةٍ فيها الكلابُ بحالها

كلابٌ وما ردتْ

وصلتْ منكَ رُقعةٌ أسأمَتْني

وصلتْ منكَ رُقعةٌ أسأمَتْني

وثَنتْ صبريَ الجميلَ كَليلا

كنهارِ المصيفِ حراً وكرباً

وليالي الشتاءِ برداً وطولا

أرحْ من نزح ماء البرج يوماً

أرحْ من نزح ماء البرج يوماً

فقد أفضى إلى تعبٍ وعِي

مر القاضي بوضع يديهِ فيهِ

وقد أضحى كرأس الدولعي

قلْ لابن سيّدةٍ وإنْ أضحى لهُ

قلْ لابن سيّدةٍ وإنْ أضحى لهُ

خَوَلٌ تُدِلُّ بكثرةٍ وخيولُ

ما أنتَ إلا كالعُقابِ فأمُّهُ

معروفةٌ ولهُابٌ مجهولُ

لو كنتُ أسودَ مثلُ الفيلِ هامتُه

لو كنتُ أسودَ مثلُ الفيلِ هامتُه

عبلَ الذراعين في غرمولهِ كبرُ

كانتْ حوائجُ مثلي عندكم قُضيتْ

لكنَّني أبيضُ في أيدهِ قصرُ

لا كانَ يومٌ بدّلتْ

لا كانَ يومٌ بدّلتْ

فيهِ الكنائسُ بالمساجدْ

لاتفرحوا بفتوحِكم

هذا فإنَّ الدهرَ راقدْ

واللهِ إنَّ خيارَ بلدتكم

واللهِ إنَّ خيارَ بلدتكم

سَقَطٌ فكيفَ تُفايةُ السَقَطِ

وسائقُ الصبيان أضحى ابنُه

وسائقُ الصبيان أضحى ابنُه

يسرقُ من دار الزكاةِ الذهبْ

لا تسألوهُ واسألوا دارهُ

فإنَّها تُخبرُ عمَّا نهبْ

ما قصَّرَ المصريُّ في فعلهِ

ما قصَّرَ المصريُّ في فعلهِ

إذ جعلَ الحفرةَ في دارهِ

فخلَّصَ الأحياءَ مِن رجمِه

وخلّصَ الأمواتَ من نارهِ

شاورتُ بعضَ أخلاَّئي وقلتُ لهُ

شاورتُ بعضَ أخلاَّئي وقلتُ لهُ

أُريدُ أُودعُ كُتبي نجلَ عدلان

فقالَ ذلك جُرذانٌ ومصلحةٌ

أنْ لا يحطَّ كتابٌ عندَ جرذان

إنَّ سلطاننا الذي نرتجيهِ

إنَّ سلطاننا الذي نرتجيهِ

واسعُ المال ضيّقُ الإنفاق

هو سيفٌ كما يقالُ ولكنْ

قاطعٌ للرسومِ والأرزاق

وجنَّبني أنْ أفعلَ الخيرَ والدٌ

وجنَّبني أنْ أفعلَ الخيرَ والدٌ

ضئيلٌ إذا ما عدَّ أهلُ المناسبِ

بعيدٌ عن الحسنى قريبٌ من الخنا

وضيعُ مساعي الخيرِ جمُّ المعايبِ

إذا رُمتُ أن أسمو صعوداً إلى العُلى

غدا عرقُهُ نحو الدنيَّةِ جاذبي

لو أنَّ طلاَّ المطالبِ عندهم

لو أنَّ طلاَّ المطالبِ عندهم

علمٌ بأنّكَ للعيون تعوّرُ

لأتوا إليكَ بكلّ ما أمَّلتَهُ

منهم وكانَ لكَ الجزاءُ الأوقرُ

ودعوكَ بالصبَّاغ لمَّا أنْ رأوا

يُعشي العيونَ لديكَ ماءٌ أصفرُ

وبكفّكَ الميلُ الذي يَحكي عصا

موسى وكم عينٍ به تتفجّرُ

ومهفهفٍ رقَّتْ حواشي خدّه

ومهفهفٍ رقَّتْ حواشي خدّه

فقلوبُنا وجداً عليهِ رقاقُ

لم يَكسُ عارضَهُ السوادُ وإنَّما

نَفضتْ عليهِ صباغَها الأحداقُ

خوارزمُ عنديَ خيرُ البلادِ

خوارزمُ عنديَ خيرُ البلادِ

فلا أقلعتْ سحبها المغدقهْ

فطوبى لوجهِ امريءٍ صبَّحتـ

ـهُ أوجُهُ فتيانِها المُشرقهْ

وما إنْ نَقمتُ بها حالةً

سوى أنْ قامتْ بها مقلقهْ

ونعمةٍ جاءتْ إلى سفلةٍ

ونعمةٍ جاءتْ إلى سفلةٍ

أبطرهُ الإثراءُ لمَّا ثرا

فالناسُ مِن بغضٍ لهُ كلَّما

مرَّ عليهم لعنوا شاورا

تباً لمصرٍ ولها دولةً

ما رفعتْ في الناس إلاّ حرا

وقائلٍ إنَّ في الأسفار فائدةً

وقائلٍ إنَّ في الأسفارِ فائدةً

يُوسعنَ في الرزق ذا مالٍ وذا خُلق

وقد مضيتُ إلى أقصى الذي ذكروا

وجئتُ أرعنَ والشلاّقُ في عنقي

وغصن بانٍ قلوبَ الناس قاطبةً

وغصن بانٍ قلوبَ الناس قاطبةً

منهُ على خطرٍ إنْ ماسَ أو خَطَرا

بدا وأبدى برُؤياهُ لنا قمراً

فيهِ مِن الحسن ما للعقل قد قَمَرا

هو الغزالُ ولكِنّي عجبتُ لهُ

مِن الغزالةِ إذْ زارتهُ أنْ نَفرا

وظلَّ مستتراً منها ومحتجباً

عنها ونورهما في الناس قد ظهرا

فقلتُ حسبكَ لا تخشَ اجتماعكما

فالشمسُ لا ينبغي لأنْ تُدرك القمرا

غريرُ لحاظٍ ناقصُ الخصر فاتنٌ

غريرُ لحاظٍ ناقصُ الخصر فاتنٌ

نكمِّل إذ في أخذِ روحي تشطّرا

هو الغصنُ لكن بالهوى فيه خاطري

على خطرٍ لمَّا مشى وتخطَّرا

وقالوا اصطبرْ والريقُ في فيهِ سكرٌ

فقلتُ بصبرٍ لا أقابلُ سكَّرا

عجبتُ لهُ إذ لاحَ واهتزَّ عطفهُ

لأني رأيتُ الغصنَ بالبدرِ أثمرا

فما الشمسُ إلا وجنَةٌ منهُ أشرقتْ

نهاراً وخدٌّ فيهِ صبري تعذّرا

وما الليلُ إلاَّ شَعرهُ وهو مسبَلٌ

ولكنّهُ قد صارَ بالوجهِ مقمرا

وما المسكُ إلا نشرُ فيه الذي طَوى

أحاديثَ عن إسنادِها الطيبُ عبَّرا

وبارِدِ النيَّةِ عاينتهُ

وبارِدِ النيَّةِ عاينتهُ

يكرّرُ الرعدةَ والهزَّهْ

مُكبّراً سبعينَ في مرَّةٍ

كأنّما صلّى على حمزهْ

نحنُ قومٌ ما ذُكرنا لامرِيءٍ

نحنُ قومٌ ما ذُكرنا لامرِيءٍ

قطُّ إلاّ واشتهى أن لا يرانا

شعرنا مثلُ الحرا ذقتَ الحرا

صفعَ اللّهُ بهِ أصلَ لِحانا

الرزقُ يأتي وإنْ لم يسعَ صاحبُهُ

الرزقُ يأتي وإنْ لم يسعَ صاحبُهُ

حتماً ولكنْ شقاءُ المرء مكتوبُ

وفي القناعةِ كنزٌ لا نفادَ لهُ

وكلُّ ما يملكُ الإنسانُ مسلوبُ

فِراري ولا خلفَ الخطيبِ جماعةٌ

فِراري ولا خلفَ الخطيبِ جماعةٌ

وموتٌ ولا عبدُ العزيز طبيبُ

أقلامهُ جازتْ أقاليمنا

أقلامهُ جازتْ أقاليمنا

وكانَ في عصر الصبى مقلمهْ

إنْ صغّر الكذاب من قبله

فلا تصغره وقل مسلمهْ

سلّمهُ اللّه إلى مالك

إن مات أو عاش فلا سلمهْ

وخلٍ نأى عن صحبتي بعد قربه

وخلٍ نأى عن صحبتي بعد قربه

وقد كنتُ أخشى من تقلب قلبه

وأنكرني حتى كأني لم أكنْ

بمرود بطني كاحلاً عين صلبه

ألا لا تكن يوماً بمن يند واثقاً

فمن لم يَذُدْ عن ثقبه لا تثق به

أولاد شيخَ الشيوخ قالوا

أولاد شيخَ الشيوخ قالوا

ألقابنا كلها محالُ

لا فخر فينا ولا عماد

ولا معين ولا كمال